قرة العين في الأجوبة على أسئلة صاحب خبيئة الكون

و يليه

تجريد أسئلة الحكيم الترمذي

و يليه

تجريد أسئلة الشيخ الكتاني

تأليف

العلامة القاضي سيدي

أحمد سكيرج الأنصاري الخزرجي

إعداد

ذ محمد الراضي كنون

الحسني الإدريسي

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما

نحمدك اللهم حمد من عرف انك اهل للحمد، فحمدك بلسان العجز، لتاذنه بالدخول لحضرة قدسك، قائلا بالاقتداء: لا احصى ثناء عليك، انت كما اثنيت على نفسك فاقبلت عليه بوجهك العظيم، واسبغت عليه ما غرق فيه من فضلك العميم، فاقتحم لجة النعم الباطنة والظاهرة، متقلبا فى جميع الاطوار المنوطة بالدنيا والآخرة، مغترفا من بحرها الطّامى بيد طولى، ما تناول به من تاروضة التى خوطب فيها الانسان الكامل، وقنطف ثمرة بعد اخرى: وللاخرة خير لك من الاولى، فالاولى فى بساط الاشارة نعمة ايجاده بالايقان، بعد ان لم يكن شيئا مذكورا، والاخرى بتقريب العبارة، نعمة امداده بالايمان، حتى عد شاكرا مشكورا، فانى انا العبد الفانى نظرت الى ما به الله قد، حباني من نعم فى يدى

وما خصنى الله ربى به، وما الله عم به كل شى

ووجهت وجهى الى شكره، بكل لسان لميت وحىّ

فايقنت عجزى وعجزهم، عن الشكر عجز منوط بعىّ

فلله الشكر على ما به تكرّم، مما خص وعم، وازيد بلسانى شكرا على الشكر، وان لم تقم بالشكر جوارحى فى السّرّ والجهر،

شكر الاله نعمة، مستوجب لشكره

فكيف شكرى بره، وشكره من برّه

والصلاة والسلام على الحجاب الاعظم، والكنز المطلسم، الواسطة العظمى فى ايصال الامداد، والسبب فى فى الجود الالاهى الواصل للخلق بنعمة الايجاد، ولولاه ما وجد شيء من المكونات، ولدام رواق العماء مسدولا على المخلوقات، يعسوب الارواح، والاصل الذى ظهرت بسببه الاشباح، لا زالت التحيات الزكية، تعمّه منك يا مولانا، وتعم آله واصحابه، بالنفحات الذكية، والرضى عن شيخنا، خاتم الولاية، وحامل الوية العناية، بالتخصيص الاحمدى، والتنصيص الشفاهى المحمدى

القطب الربانى ، سيدنا وسندنا ومولانا احمد التجانى ، وعن سائر محبيه واحبابه وكل من لاذ به وانحاش لجنابه ، وكل من دخل لحضرة الانس الحق من بابه ، أما بعد ، ولله الامر من قبل ومن بعد ، فقد دعانى داعى المحبّة ، فى هذا الجناب الاحمدى ، والنهج الواضح المحمدى ، ان ابيّن وجه الحق بين ذوى التصديق ، فى تحقيق التربية ، بالحال والهمّة ، وايـم الله لقد تاسفنا غاية التاسف ، لانكار مثل هذا التصرف ، بين الخلق ، حيث حملوا ذلك على ما لا ينبغى من المحامل الواهية والتحامل على اهل الطريقة التجانية ، بما لا تحمد عاقبته ، بين ذوى المراتب العالية ، ولولا ما يلزم من عدم المدافعة ، عن هذا الجناب من المفسدة ، لضربنا عن ذلك صفحا ، ولطوينا عنه كشحا ، خشية ايقاظ نار تحت الرماد ، ولاكن حيث كان الانكار لمثل ذلك وقع كثيرا من الناس فى مهالك تعين علينا انتشال من وفق بين الخلق ، لقبول الحق ، ببيان الحقيقة ، فى هذه الطريقة ، ونؤدّى الواجب الاسئلة التى القاها بعض شيوخ عصرنا ، ممن تصدروا لتلقين الاوراد ، واراد بها تعجيز التجانيين ليتم له المقصود فيما تظاهر به فى الاقران ، ونحن لا ننكر ما آتاه الله من الفضل والشرف ، وما تصدر له من الشيخوخة فى ترف ، ولاكننا ننكر انكاره ، ونرد بالحق الى الحق افكاره ، وكل كلام فيه مردود ومقبول ، الا كلام الرسول ، عليه السلام ، ولا يعد من انكر منكرا على صاحبه ، ولو كان من آل البيت الطيبين ، بانه مبغض للبضعة النبوية بين العالمين ، فنحن وحق الله نحب كله وبعضه ، ولاكن نبغض انكاره وبغضه فقد هيّج الافكار ما يشيعه من الانكار ، خصوصا فى التاليف المعنون : بخبيئة الكون ، فانه ما قصر مؤلفه من التحامل على الطريقة التجانية واهلها ، بما كان من حقه التحاشى عن النطق به ، وان لا يشوش به على المحبين فى اهل الله ، وعلى المتمسك من طريقهم بحبلها ، ولعمرى انه كان فى غنى عن التعرض لهذه الطريقة بما وقف به فى طريقه على عين الحقيقة ، ولقد بالغ فى الاستهزاء بهذه الطرق وبمن تمسك بها من اهل التصديق ، ولان كان عنده المخاطب واحدا ، فقد سار منه الخطاب لجميع اهلها ، حتى افضى به الحال ، الى التهكم الذى ظن انه يوقع به المريد التجانى فى اوحال ، وزاد فى طنبور العويل رنة تكذيبه لما ثبت لسيدنا قدس سره ، من كونه خاتم الاولياء ، والزم عن وصف الشيخ بها انكاره لختمية الشيخ

الاكبر، الامام ابن عربى الحاتمى ، وقد وجد مجالا للقول ، وخلا له الجو فى ذلك
الهول ، وصرح بانه لا يصح الاخذ الا عن الحي ، ومن ادعى الانتفاع التام ، بغير
الشيخ الحي، فليجب عما املاه من اسئلة الحكيم الترمذى ، التى لا يحسن الجواب
عنها الا الختم ، واضاف اليها اسئلة اخرى ، ليجيب عنها شيخنا من قبره ، طبق
ما اجاب الشيخ الاكبر ، القطب النابلسى ، فيما ام له من امانى ، فان لم يجب عنها
مجيب ، فهي دين على مريدى الطريق ، والواردين منها ، وها انا ذا انقل هنا بعض
ما قاله فى تصدير هذه الاسئلة ، بما فصله واجمله ، ثم اتبع ذلك بالجواب عن كل
سؤال ، بالطف مقال ، ليرى اهل الانصاف ، تصرف شيخنا عيانا ، بامداد مريديه الضعاف
باسرار منه فى بيان الحق من غير اعتساف ، ولو تصدى لجوابه فحول الطريقة ،
لكشفوا له عن وجه الحقيقة ، وان كلام الصدق عليه نور ، تنشرح له الصدور ، فقد قال
فى الكتاب المذكور ، بعد جملة من سطور ، ما نصه : ان هؤلاء ، يعنى بعض علماء
الطريقة التجانية ، انكروا على من نفى تربية المتنقلين ، فلا يسترابفى انهم حصلوا
على الامور الخمسة ، التى بها يمكن الاتصال بروحانية الاكابر ، على ما ذكر العلماء
فان كانوا ممن يتربون ، فليفعلوا كما فعل سيدى عبد الغنى النابلسى ، مع الشيخ
الاكبر ، وليسألوا عن اجوبة هذه الاسئلة ، التى نذكرها ان شاء الله الآن ، و لا
ياتوا باجوبة الحاتمي عنها ، فهو عيب وعار ، ولا باجوبة غيره ، فضلا عن الاجوبة التى
تنتجها التخمينات والتفكرات ، ومن اجاب عنها نقلا عن الشيخ ، كما فعل سيدى
عبد الغني ، فليكتب اولا هذا الاقتراح الذى اقترحناه ، حتى يعلم الناس ، اوقعت
التوفية بالمتمنى ، ام لا ، وليقم بهذا الوظيف ، من علموا منه الاهلية للاستفاضات
فى اقاصى الارض وادانيها ، من اهل ~~الطريقة~~ الطائفة ، فصاحب البيت ادرى بالذى
فيه ، وليا تونا باجوبتها ، ولتطبع ، كما فعل سيدى عبد الغني النابلسى ، مع ابن
العربى ، والقصور من الناقل ، لا من الفاعل ، فهناك يعلم الناس ، ان منكم من يتربى
من المشائخ المنتقلين ، وان بقيت عليكم دينا ، فلا تربية ، واطلبوا الشيخ الحي ، ان
كان قصدكم الوصول الى الله ، ولا تنقلوا عن الحاتمي ، الذى كلامه ليس بصحيح ،
فاياكم والاغتراف من بحره ، وقد بلغنا انكم قلتم : ان كل من تكلم فى الختمية ليس
عليه ، كالحاتمى والحكيم الترمذى ، وقد وضعا هذه الاسئلة ، امتحانا لمن ادعاها

فليجب عنها من لم يلبس عليه الامر، ولا يحسن الجواب عنها الا الختم، وقد اجاب عنها الحاتمي، الذى بلغنا انكم قلتم: انه رجع عن نسبتها له، ولا يوجد ذلك فى كتاب من كتبه، ولا غيرها، وما بال صاحب روح البيان، كان فى القرن الحادى عشر ومع ذلك وصفه بها، وهو واشياخه، اعرف بكتب الحاتمي من القطا، مع ان الحاتمي توفي فى حدود الاربعين وستمائة، فاهل القرن السابع، والثامن، والتاسع، والعاشر والحادى عشر، والثانى عشر، كلهم لم يطلعوا على انه ليس هو الختم، ثم اطلع بعد ذلك على ذلك، وليت علمى، اين ذكرها فى كتبه، وهذه الفتوحات، والفصوص، ومواقع النجوم، وعنقاء مغرب، والتنزلات الموصلية، الى ما لا يحصى من كتبه، كلها نعرفها اكثر من معرفتنا بابنائنا، وما راينا ذلك فيها، ولكن، اذا لم يستحي الانسان، فليقل ما شاء، وهذه كتب السادات النقشبندية، وهم اعرف الناس بالله فى الطريق ترجموا فى كتابهم، ازيد من الف شيخ، تخرجوا على يد مشيختهم، وما منهم واحد، الا واشياخه ~~يعبر~~ يعبرون عن الحاتمي بانه ختم، وكلهم لم يعرفوا، ولا حول ولا قوة الا بالله، وشر العلم الغريب، كما قال الامام مالك، وكتبهم تباع فى السوق فلتنظر، وراجعوا تاليفهم، هـ، فمن نظر الى كلام هذا السيد، بعين الاستبصار، وجده مشتملا على اقتراحات، فى تعجيز اهل هذه الطريقة، بما ابداه من الانكار، ويتضح الحق فى مقامين:

المقام الاول: فى المقصود من التربية، فى الطريقة التجانية،

اعلم ان هذا السيد، ينكر على المريد التجانى، تربية الشيخ، رضي الله عنه له، لأن المنتقل عنده لعالم البرزخ، فى شغل شاغل عن الاخذ باليد، ولفقد الشروط المشروطة عند القوم، فى الانتفاع به، قائلا: ان التربية للمريد، لا تحصل من المنتقل، الا اذا كان مثل القطب سيدى عبد الغني النابلسي، والا فلا انتفاع، وهذا منه اغلوطة كبيرة، فى هذا المقام، يحصل بها التلبيس على العام، وذلك ان المنكرين على منكر الانتفاع بالاموات، يقولون: ان التربية بالاصطلاح، قد انقطعت منذ زمان وهب ان التربية لم تنقطع، فان الطريقة التجانية، مضمون لآخذها الفتح، والوصول الى الله، ونيل الدرجات العلى، بفضل الله، والله ذو الفضل العظيم، وقد ضمن الرسول عليه السلام، للشيخ التجانى، الفتح لكل محب فيه، قيد حياته، وبعدها،

فبحبه حصل الانتفاع، وبوروده يكمل الانتفاع، فانكار هذا جحود للحق، وتكذيب لولاية قائله، فالطريقة التجانية اهلها داخلون من باب الفضل، من اجل شيخهم ولا عجب فى مثل هذا، عند العارفين، بسعة فضل الله، ولسنا نقول، ان الشيخ يخرج من قبره، لتربيتنا، فى خلوتنا، ولا ان يجيبنا اذا خاطبناه، بلسان عن بعد او قرب فى مهمتنا، فان هذا ادعاء، ونحن متبرؤن من الدعاوى،

والدعاوى ما لم يقيموا عليها × بينات ابناؤها ادعياء

وليس من البينات مجرد القول من قائل، وتكثير الهول من غير طائل، فان التربية بالاصطلاح، لم تكن جارية على هذا المهيع، فكم من شيخ كان مربيا، وهو مرشد بمقاله او حاله، ولم تنكشف له الحجب، عن افعال مريديه، ولا حضر معهم، فيما يخفيه او يبديه، فالجنيد، والشاذلي، واضرابهما، لن يجيبوا باللفظ قاصديهم، على ان استحضار الارواح، مبرهن على صحته، بالتنويم المغناطيسى، فلا ينكره الا جاهل غريق فى بحر الجهالة، فلا جرم، ان روح المراد استحضاره، تحضر لديه فكيف لا تحضر روح الشيخ لمريده، الحاضر بين يديه، مع حسن اعتقاده، ولقد كان حصل لى، اهتمام كبير، حين رايت استهزاء هذا الشيخ، بقراهل هذه الطريقة بالقاء هذه الاسئلة عليهم، ليجيبهم الشيخ عنها، فاخذت بيدى، القلم والدواة وقصدت الضريح الاحمدى، متحققا بان اتلقى عنه الجواب، واكتب للمقترح طبق اقتراحه، من غير ارتياب، وقد عرجت فى مرورى فى طريقى للزاوية، على محل شيخنا العارف بالله، سيدى ومولاى احمد العبدلاوى، رضي الله عنه، فاخبرته بما عزمت عليه، وقد شاهد منى، عزما قويّا، فى حال لم يمكنه، الا ان لاطفنى فيها، بما سكن به حرارتها، ومنعنى، شفقة منه علي، من الدخول، فى هذا الامر، بمخاطبة الشيخ رضى الله عنه فى قبره، وقال لى : ان همة الشيخ معك، فسيفتح الله عليك بالجواب من غير معاناة، ولا مراجعة كتاب، منشدا قول المنفرجة :

وسحاب الخير لها مطر + فاذا جاء الابّان تجى

جزاه الله عنى خيرا، وقد كنت متحققا، بانى لو قابلت الضريح الاحمدى، لاملى علي فيه الشيخ، فوق المؤمل، لحضور روحه لدىّ، وهب ان روح الشيخ حضرت او لم تحضر، فان هذا ليس من اصطلاح التربية، فالمدار فى هذا كله، على

ان الاستمداد ،من الشيخ ،انما هو على قدر قابلية المريد ،فان الشيخ ــ حيا او ميتا ــ انما هو مرشد ،وليس بخلاق للهداية فى قلب مريده ،عــى ان طريقتنا التجانية ، حبلها منوط بحب الشيخ ،واخذ طريقه كاف فى نيل المراد ،وذلك فضل اللــــه يوتيه من يشاء.،

المقــام الثانى ،فى تحقيق القول فى صحة

ختمية الشيخ رضي اللــه عنه.

اعــم ان هذا السيد ،صرح بتكذيب ختمية سيدنا رضي اللـه عنه ،بتعجــيز مريديه عن الجواب عن الاسئلة التى انتحلها فى تويلفه المذكور ،ولا يخفى ما فى تكذيب اهل الله ،فان كان هذا التكذيب منه ،انما هو للمريدين ،دون الشيخ فهو من التهور ،لانهم لا ينسبون الختمية لانفسهم ،وانما ينسبونها لشيخهم الذى نسبها لنفسه. نــعم ،كون التجانيين ،يقولون ،بان الحاتمي ليس بختم ،ونسب هذه القولة لهم ،من قبيل رمي الناس بالباطل ،ولا عبرة بقولة متحامل ،فان ختمية الحاتمي لا تنكر ،وختمية من ادعاها لنفسه ،من اهل الله ،كابن وفا ،والقشاشى واضرابهما ، ممن صرحوا بها لانفسهم ،ثابتة لهم ،وكيف يكذب المريد ،ان نسب لشيخه ،مــا نسبه لنفسه ،على انه يلزم من ادعاء ابن وفا ،والقشاشى وغيرهما لها ،ان يلقي هذا السيد ،هذه الاسئلة على مريديهم ،ليسألوا شيوخهم ،والا فهم غير منتفعين بهم ولا هم باختام ،وانما الخاتم ،الحاتمي ،كما اقترحه على التجانيين ،فهو مكذب للانتفاع بهم ،ونحن نتعجب من نفيه لهذا عن شيخنا ،وقد بلغنا عن سيادته ،انــه ينسبها لوالده ،كما انه رمز عليها ،فى بعض تآليفه لنفسه ،ولا ونحن لا نكذبه في ادعائه ،لكونه ربما يكون قصد معنى حقيقيا برمزه ،وقد منعنا شيخنا التجانى ،من تكذيب مدعى الولاية ،واكد علينا ــ التاكيد التام ــ فى احترام المنحاش لجنابهم على اى حالة كان ،ولا نقول ،بان ختمية الحاتمي ،هي ختمية سيدنا ــ رضي الله عنه ــ بل نقول : ختمية سيدنا ــ رضى الله عنه ــ اعظم قدرا ،وارفع مقاما من تلك الختمية ،لكونه له كمال الظهور ،فى اعلى مقامات ختم الولاية ،كما اخبر بذلك عــن نفسه من كونه ،هو القطب المكتوم ،ولا يخفى ان من اعرب عن مقامه ،اجل قدرا واعز فخرا ،وانطق حالا ممن يخبر عن مقامه لغيره ،فــهذا رسول الله صلى الله عليه

يقول:

وسلم انا النبيّ لا كذب، وكذلك النواب عنه في السر والجهر، يخبرون عن مقاماتهم وهم في ذلك، مقتدون به، وحاشاهم من التبجح، او وصف انفسهم، بما ليس بحق وبالاخص، من ثبتت خصوصيته، ورسخت قدمه في المعرفة بالله، وشهدت شهود العيان، بورعه وتقواه، وقد اثنى عن سيدنا ـ رضي الله عنه ـ اهل زمانه، واخذ عنه، الجم الغفير، شرقا وغربا، وشهد له، برسوخ القدم، في المعرفة، من لا يحصون عدا،

والناس اكيس من ان يمدحوا رجلا × حتى يروا عنده آثار احسان

وقد اخبر، بان طريقه، سيكون لها الظهور التام، والانتشار العام، وقد ظهر مصداقه، وانتفع بوراده، جل من تلقاها عن المقدمين، القائمين مقامه، في التلقين لا يقال: إن المثنين على الامام، ابن عربي الحاتمي، قدس سره، من اهل زمانه ومن بعدهم، هم اجل قدرا، ممن اثنى على سيدنا ـ رضي الله عنه ـ لانا نقول

أولع الناس بامتداح القديم × وبذم الحديث غير الذميم

وذلك من سوء الظن بالمعاصرين، والتطاول على القريب عصره بيد القاصرين، وذلك دأبهم من قديم، ثم اننا قد ازددنا تعجبا، من اقتراح هذا الجليل، بان يكتب اقتراحه، ويوتى بالاجوبة عن تلك الاسئلة، بالاستفاضة من روحانية سيدنا رضي الله عنه، مع ان اجوبة الحاتمي عن ذلك، مقررة في فتوحاته، ولا ينبغى الافتيات باجوبة دونها، لكونه ختما، ولا يجيب عنها الا الختم، وقد اجاب عنها، بما فيه غنى عن غيره، ولاكن حيث جعل الجواب عنها، من قبيل الدين الذى لا ترتفع معرته الا بادائه، على الوجه المقترح، راينا من الامر الاكيد علينا، في التعجيل في رفع هذا التعجيز، بما يفتح الله به من غير نقل اجوبة الشيخ الاكبر، وحاصل ما اورده في هذا الكتاب الذى عنونه: بخبيئة الكون، من الايرادات، والالزامات يرجع لبساطين، زيادة على ما ذكرناه في ~~لا~~ هذين المقامين.

البساط الاول، في تحقيق التربية في الطريق، والانتفاع عند ذوى التصديق.

اعلم ان المقصود من التربية بالاصطلاح هو حصول الانتفاع للمريد في سلوك الطريق، وقد جاءت طريقتنا التجانية، على نسق لم يجئ عليه غيرها من الطرق،

لكون الثواب الحاصل لآخذ اورادها بالتلقين ، والاذن ممن له التقديم الصحيح باهرا للعقول ، لتحقق الوعد به ، من باب الفضل ، من اجل شيخها ، الذى ضمن له رسول الله صلى الله عليه وسلم ، جميع ما طلبه من الله ، على يديه ، لنفسه ، ولاحبابه واصحابه ، مما لا تكاد تفى بشرحه العبارة ، وتقصر عن مد اليد اليه بالاشارة ، كل ذلك لاهلها ، من غير تعب ولا مشقة ، فمقام الآخذ لاوراده ، متمكن فى مقام الزلفى ، فضلا من الله ، ومنة عليه ، وله من الله لطفان : لطف خاص به ، ولطف عام ، مع عامة الناس ، فالمدار فى هذه الطريقة ، انما هو على القيام بالمامورات ، بقدر الامكان ، ومع ملازمة اورادها ، فى السر والاعلان ، وليس مبنى هذه الطريقة ، على التربية بالاصطلاح كما قال السيد عبيدة ، فى رحلته × رحلة التهانى ، فى وصف سيدنا ، رضي الله عنه واجاد فى الافصاح عن تربية الشيخ ، رضي الله عنه لاصحابه ، وتربية غيره لمريديهم ما نصه : بلا خلوة ، ربى ، وربوا بخلوة × فشتّان ما بين اليزيدين منهلا .

على ان التربية بالاصطلاح ، معلوم ما قيل فيها ، من انها انقطعت منذ زمان ، ولم يبق الا التربية بالهمة والحال ، ونقله الشيخ زروق ، فى قواعده ، ولا شك ، ان تلك التربية ، هي الانتفاع ، فلا فرق فى التربية بالهمة والحال ، بين الشيوخ الاحياء والاموات ، ولا يبعد ان يقال : ان الانتفاع بالاموات اكثر ، كما قال ابن باديس فى سينيته : ولا تسمعن من قاصر النفع فيهم × على من يكن حيا ، فذاك من الطلس

فان شهود النفع يقضى بضده × ولا سيما والقوم نصّوا على العكس

ومع هذا ، فنحن لا نقول بكون التربية ، لا تكون بالحي ، بل نقول : اين هو هذا الحي فان قيل : هو من له الاذن الخاص ، من الحضرة المحمدية ، مشافهة ، او يقظة ، له او لشيخ لقنه ، فلا جرم ان فى طريقتنا مقدمين ، عندهم الاذن الخاص ، الصحيح الصريح ، وبه يلقنون هذه الطريقة ، لملتزم شروطها ، لاكنهم لا يتجاسرون على دعوى المشيخة ، وانما يعتبرون نفوسهم ، من جملة الاخوان ، من غير تمييز عنهم ، سوى بما منحهم الله به من خصوصية التقديم ، فهم به ، فى مكان مكين ، وان قيل : هو من يتصدر بين الناس ، بعد ان يتعلم سطورا من العلم ، ويظهر له انه مستحق لان يدعو غيره للسلوك على يديه ، بين القوم ، فيقوم بالدعوى ، طبق ما تقوى عليه نفسه ، من حمل

بعبء عـبء التقوى ، فان هذه الطريقة التجانية ، قد كفيت مئونة ذلك ، والجمت بلجام الادب جميع المتمسكين باورادها ، ان لا يتصدر المتصدر لمثل هذا الامر ، لكـون النفوس ، لوّامة ، وامّارة ، ولا تسمح ، كيفما كانت ـ غالبا ـ فى الترؤس ، والامارة ، ولا يبعد خطأ من يعتقد ، انه على صواب ، فيما قام به ، من غير ارتياب ، وان قيل : هـو من يراعى احوال مريديه ، ويرشدهم لما فيه صلاحهم ، وينهاهم عن مخالفة مولاهـم فـلا جرم ان هذا الشيخ ، بهذه المثابة ، لا تخفى عليه احوال مريديه ، ومن غـاب عن حضرته منهم ، فانه يراقبه ، بعين بصيرته ، ويخطوا بالخطوة ، الى انتشاله ، مـن الوقوع فى الخطايا ، فهـذا الشيخ ، أعز من بيض الانوق ، ولا يبعد ان يكون المدعى لنفسه ، اتصافه بهذا الوصف ، ان يكون ملبسا عليه ، ان لم يتحقق من نفسه ، كونـه على خطء ، وان صدّق الله ، لاشتغل باصلاح نفسه ، عن اصلاح غيره ، وينشد لنا ما قيل : طبيب يداوى الناس وهو عليل ، فان كان المريد يرى من هذا المرشد الحالة المحمودة ، التى استحق بها ، ان يتخذه شيخا له ، فليحذر من غوائل النفس ودسائسها ، فان كثيرا من المريدين ، يشيعون عن اشياخهم واشياعهم ، ما يكون عليهم حسرة وندامة ، يوم تبلى السرائر ، فكم من صنوف الكرامات يختلقون ، وكم من صفـوف ذوى المقامات يخترقون ، بما تسوّل لهم الانفس ، فى تاييد من مالوا اليه التعصّـب ، حتى اذا صدر منهم منه ، ما لا يوافق هواهم ، انقلبوا صاغرين ، يتبرءون منه ، ومن كل من له اليه ادنى تقرّب ، يـعرف هذا ، من خالط بنفسه المدّعين ، واطلع منهـم على ما لم يطّلع عليه معاضدوه ، من الاقربين له والابعدين ، وكفى ذلك فى اقناعهم ، فى اقماعهم ، والله يعلم حقائق ما هم عليه ، وهـذا الكلام ، خرج هنا ، مخرج التقريع ، من غير تعيين احد ، وعسى ان ينتفع به ، من اراد الحق انتفاعه ، فيترك التعصّب النفسانى ، باهتضام حقوق اهل العصر ، كما صدر من بعض علماء طريقتنـا الاحمدية التجانية ، بما نعدّه ، نقطة سوداء منه ، فى وجه ما كتبه فى الذّب عـن حوزتها ، فلا بوقع فاوقع المنكرين فيما وقعوا فيه ، حتى تجرّأ الزعماء منهم على هضم حق هذا الجناب ، ونسوا ما هم مامورون به ، من مراعاة حق الادب فى الخطـاب فالمفتوح عليهم ، لا يعرضون عن الادب اللائق بمنصبهم ، بين اهل الله ، ولا يضرّهم من خالفهم فى الاعتقاد ، حتى ياتي امر الله ، ولا عبرة بالمتعصّب عليهم ، لا من علماء

الظاهر، ولا من الجهّال الذين لا يودون حق المظاهر.

البساط الثانى، فى التوطئة الموصلة للجواب عن هذه الاسئلة.

اعلم ان سيادة مؤلف خبيئة الكون، طالما ناضل عن طريقته، وما قصر فى تدعيم ما تضعضع من اركان قصوره التى شيدها، وتاييد دعواه، بما بسطه، فى جل كتبه خصوصا فى الرد على من انتقد عليه، من علماء العصر، وبالاخص منهم، الفقيه ابا الفتح، الحاج محمد بن عبد السلام كنون التجانى، والفقيه السيد البوعزاوى الشاذلى، والفقيه السيد السباعى المراكشى، فانه قابلهم بنفسه، وشفى غليله بالرد عليهم بما كتبه، وقد تصدى للطعن فى الطريقة التجانية، بكون الشيخ التجانى قد مات ولا تصح التربية من الميت، وادلى بحبل هذه الاسئلة، الى تعجيز من يدعى الانتفاع بسلوك هذه الطريقة، طبق ما اشرنا اليه، ونقلنا كلامه باللفظ للمطالعين وقد نصّ على انه، ترك من اسئلة الحكيم الترمذى، بعض الاسئلة، وابدلها من عندياته باسئلة اخرى، ذاكرا ان ما تركه منها، اقناعى فى الجملة، فهو بلسان مقاله، نص على انه، اتى بدلا عن الاقناعى بالمعجز، فنزل اولا نفسه، منزلة الحكيم الترمذى فى كونه، وضع هذه الاسئلة، ليجيب عنها الختم، ثم ترقى الى ان ابدل الاقناعى بغيره، زيادة فى التعجيز، وليت شعرى، هل سيادة هذا المقترح للاجوبة عن هذه الاسئلة، يعرف الجواب عنها، من غير الوجه الذى ذكره الشيخ الاكبر ابن عربي، أوانما هو قائل لما شاءه، او جاء بكلام غيره، اتماما للتعجيز، فان قلنا: الحكيم الترمذى، يعرف الجواب عما اورده من الاسئلة، فهو يرمز عن نفسه، بكونه هو الختم لأن الختم هو الذى يجيب عنها، كما فعل الشيخ الاكبر، وان لم يكن يعرف الجواب عنها، فهو ناقل عن الهام، او مشاهدة لما ارتسم فى اللوح المحفوظ، فى يقظة، او منام، فلا جرم ان المقترح هنا، سلك فى ابدال هذه الاسئلة الاقناعية، من هذا الباب، ولاكنه نص على انه ابدلها، من عندياته، فهو مقر بانها من عندياته، وها انا ايضا، آتى بالاجوبة، من عندياتى، واذكرها على ترتيبه، واحدا واحدا، والله الموفق للصواب. واعلم ان هذه الاسئلة، هي على سبيل الاجمال، تتنزل على مقاصد، يمكن ان يدعى فى الجواب عنها، انها غير مقصود السائل، ولا يرفع روغان المكذب، الا الاستدلال بكلام من فتح مغلق هذه الاسئلة، وهو الشيخ الاكبر، الامام الحاتمى، قدس سره، فقد كشف الغطاء عنها، بما فتح الله عليه، من

الالهام الحق ،والاذن له فى التعبير ،باللسان الذوق ،فهــو ينطق ،عن كشـف صريح ،ورسوخ قدم فى المعرفة بالله صحيح ،سيما وهو من تحققه ،بمقام ختمية زمانه بمكان مكين ،لا ينكره الا من لا معرفة له ،بين ذوى الفتح المبين ،فالخروج عـــن مضمن جوابه عن هذه الاسئلة ،لا يقبله المقترح ،ولو قرأت عليه الفرقان ،واتيت لــه بالف برهان ،لكون الاجوبة عن ذلك ،تقبل الرد ممن لا ينصف ،حيث انها ،خرجت من متاخرى الزمان ،وصدرت فى قالب ،مخالف لما افرغها فيه الامام الحاتمى بافصح بيان ،لاسيما وقد بنيت ،على ما لا يرجع فيه الى ما هو متداول ،من قواعد علميـة اصطلاحية ،تقضى بصحة قول الطاعن فيها ،او ببطلانه ،من جهة العلم او الجهل فلم يبق لها حاكم ،سوى الذوق السليم ،ونحن نقول بتاكيد ،فى هذا التقييد وان اشترط منتحل هذه الاسئلة ،ان يجاب بغير ما اجاب به الشيخ الاكبر ،فالجواب الحق عما اتى به من اجوبة أسئلة الحكيم الترمذى ،هو ما اجاب به الشيخ الاكـبر والخروج عن اجوبته ،يكاد ان يعد من الافتيات ،والطعن فيه بان مـا اجاب به غير حق ،فينتج بذلك ،الجواب المخالف كونه ليس بختم ،مع كون الحكـيم الترمذى ،قال : انه لا يجيب عنها الا الختم ،وقد اجاب بما قرره فى فتوحاته ، ونحن لا ندعى الختمية لانفسنا ،فتعجيز المقترح لنا ،من التداخل فيما لا يجدى له منفعة ،وحيث جعلها فى كلامه ،من قبيل معرة الدين ،على سائر المريديــن فلنخض فى بحرها ،لاستخراج درّها ،ولا بدع فى كون الفتوحات الربانية ،ترد من الحضرة القدسية على حسب قابلية الانسان ،وان اتصف بالنقصان ،ولذلك نمد لها يد الامداد للاستمداد ،ونذكر لك فى هذا السؤال ،وما بعده ،ما يقنع به اهل الانتقاد ،ان لم يلجّوا بالعنى فى قرن العناد ،معرضا عن النقل عن الغير ، فى املاء ما ستراه ،بحول الله ،فى هذه العجالة ، لرفع ما هو لمريد الختم التجانى من قبيل الضيم والضير ،ونجعل المحكّم فى التخطئة والتصويب ،لمطالعه بالانصاف ،ان كان من اهله ،ويقابله معما اشترطه المقترح ،هل ذلك جاء مستوفى الشرط فيرفـع او ناقصا فيحطّ ولا يسمعُ ،وهـــا انا ذا من روحانية سيدنا ــ رضي الله عنــه ــ استمد ،وبهمته على الله فى قول الحق اعتمد ،فـــافتح عينك ،لترى ما اســـطر ، واستحضر قلبك ،لتعي ما اقرر ،وانى ،وان كنت ــ وحق الله ــ ما عندى فى هذا

المجال، اقتداء حمله فحول الرجال ولست من اهل الذوق ،ولا ممن يستحق ان يصعد بين اقرانه من تحت الى فوق ، ولا كن القدرة صالحة ،ان تصلح الفاسد مثلى فيوفق للصواب ، فيما يملى ، وبحالة الضعف نقول :

ياهمة الشيخ احضرى + لنا بهـذا المحضر

ولتعطفى بنظرة + تاتى لنا بالظّفـر

السـؤال الاول :

كم عدد منـازل الاوليا ؟

الجواب : اعـلم ان الولاية على قسمين ، خاصّة وعامّة ، وعدد منازل كل منهم من هذين القسمين بحسبه ، فعدد منازل اهل الولاية العامة ،عدد انفاس كل نفـس حية ،وغير ذى نفس ، من سائر الحيوان ، من انسان وغيره ، من اول بـروز الخلق الى فنائهم ،لانهم يرتقون فى المعرفة بالله ، بقدر النصيب الذى قسم لهم ، فى التعرف به اليه ، دنيا واخرى ، وهـذا على سبيل الاجمال ، واما سبيل التفصيل ، فان عدد منازل اوليا كل زمان ،عدد مومنى ذلك الزمان ، فالنور يكثر بكثرة المومنين ، والمنازل تعد بقدر النازلين ، واما عدد منازل اهل الولاية الخاصّة ، فهو بقدر ما لكل فرد منهم من الانفاس ،المصروفة فى العبادة ،الى آخر نفس منه ، فتكون منازله ، طبق مـا يقال للقارئ : اقرأ وارقأ ، وهـذا الذى قلناه ، يرشد اليه حالة الاقتدا ، بالنبي المتبوع ، فتابعه فى ميزانه ، وقد قيل لخاتم الانبيا ، فى مقام الامتنان : ورفعنا لـك ذكرك ، فهو ـ عليه السلام ـ يرتقى دنيا واخرى ، فى كل نفس ، فيكون المنزل الـذى بعد الاول ، فى رفعة القدر ، اعظم واعظم ، وارفع وارفع ، حتى قال قيد حياته ، عليـه التحية ، انه ليغان على قلبى ، فأستغفر الله فى اليوم ، اكثر من سبعين مرة ، ولـيس ذلك بمحصور فى السبعين ، ولا فى السبع ملا يين ، بل العدد هنا للتكثير ، مـن غير حصر ، على عادة العرب ، فى اتيانها بالسبعين فى التكثير ، وقصدها الاكثرية فكان بحسب التبعية ، رفعة ذكر التابع محققة ، بقدر الانفاس ، وهـذا ان لاحظنـا المنزلة ، فى كونها مقاما ، وان لاحظنا كونها حالا ، فعدد منازل كل فرد ممن قـال لا اله الا الله ، باللفظ او بالمعنى ، ليدخل فى ذلك اوليا الامم السالفة ، من كل موحد ، بعدد خواطره التى تجلى الحق عليه بها ، وهي لا تكاد ان يحصر عددها

لكون القلب، يتقلب بمقتضى التجلي فى النفس الواحد من البعض الى ما ينطوى فى لحظة، او اقل منها، جميع المكونات، على قدر معرفته وقابليته، وبهذه الملاحظ يحصل لصاحبها منازل خصوصية، يرتقى فيها، بقدر ما حصل له من العلم بالله فان المنازل الخاصة، فى يوم القيامة، انما تكون بحسب المعرفة، ولا حصر لعددها فالسؤال عن كميتها، لا نقول انه من العبث، ولاكن نقول : هو ايقاظ نفس السامع ليجتهد فى المعرفة، ويغرف من بحرها، ما قسم له منها، ليكون له قدم مع اهلها فى نيل هذه المنازل الخاصة، ولو منزلة واحدة، لكون الجاهل، لا قدم له فى هذه المنازل، التى لا حصر لها، وهي خاصة باهلها، ولا تتوهم، ان هذه المنازل، ولا غيرها متماثلة، بل هي بمقتضى التجلي الحق، لا مماثلة فيها، فان الحق ما تجلى ابدا لشيء، وتجلى بذلك التجلي لغيره، وذلك مقتضى سعة خزائن رحمة ربك، فهذه المنازل، لا تحصى عددا، لكون الانفاس، غير معروفة، فى هذه الدار وكذلك التجليات، وان اردت التفصيل، المقرر عند العارفين، فنقول : ان الولي، اما ان يكون مجذوبا، او سالكا، او بين بين، فمنازل المجذوب، بحسب حاله، لا تكيف، ومنازل ذى الحالين، على حسب ما به اتصف، ولا شك ان المجذوب، نفعه قاصر على نفسه، فمنازله خاصة به، بمقتضى المحبوبية، فى الدارين، وهي قليلة من منازل السالك دائما، ولا من الآخذ بالوصفين، والسالك اكثر عددا، فى المنازل، لكونه على قدم النبي، او الرسول، ولهذا لم يبعث الله نبيا، ولا رسولا مجذوبا، وانما بعثه سالكا ومسلكا، وقد يحصل الجذب بعد السلوك، والعكس، فتكون المنازل فى انواع مختلفة، والمجذوب، على كل حال، فى حال جذبه، لا يصلح ان يكون مربيا للخلق، لانه فى قبضة الحق، مسلوب الاختيار عن نفسه، فلا يصلح ان يكون مربيا لغيره، لان التصرف فى غيره، يستدعى ولاية التصرف نفسه، وهو فى نفسه، مسلوب التصرف، فهو فى قبضة الحق، بمنزلة الصبي الصغير، تتصرف فيه يد القدرة كتصرف والدة الصبي فى ولدها، ولله المثل الاعلى، فهو فى تربية المحبوبية، يرضع بلبن كرم الربوبية، والمدار على السلوك فى الاقتداء، وجميع ما قلناه، بالنظر الى حالة الارتقاء، واما فى حالة السر، فللسالك ثلاثة منازل، المنزل الاول : عالم الفناء، وذكره فى هذا المنزل، لا اله الا الله، لانه ما دام سالكا فى عالم الفناء، فالغالب

عليه عالم وجوده العدلى ،لأن المستولى عليه اوصافه المذمومة فى سيره ،يحتاج لهذا الذكر الذى من خاصيته ،النفي والاثبات. المنزل الثانى : عالم البقاء وذكره فيه ،الله الله ،لأنه ما دام سالكا فيه ،فالغالب عليه ،عالم وجوده الفضلى ،لأن المستولى عليه اوصافه المحمودة ،فيناسبه فى هذا المنزل ،الاسم المفرد ،الذى من خاصيته فى الترقية ،التنزيه المنزل. الثالث : عالم القبضة ،وذكره فيه ،هو هو ،لأنه قد ذهبت عنه مشاهدة كدورات الصفات العدلية ،واشرقت عليه انوار الصفات الفضلية ،واتصل به تصرف الحق ،فهذه المنازل الثلاثة ،لابد منها للسالك فى سيره مستغرقا جل انفاسه فى ذكره ،وقد يكون من اهل القدم ،باختصاص الفضل ،بسبب متبوعه ،فيزل فيها ،من غير استغراق الانفاس فى الذكر ،وانما هو بحسب ما لقنه المتبوع ،ولا نفع للسالك ،فى آخر الزمان الذى نحن فيه ،فما بعده ،من الصلاة على النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ فى ذكر نافع مركب من اسرار تلك الاذكار. ثم نقول : ان للاولياء ،اربع مقامات ،الاول : مقام خلافة النبوة ،وهو للعلماء ،والثانى مقام خلافة الرسالة ،وهو للابدال ،والثالث : مقام خلافة اولى العزيمة ،وهو للاوتاد. والرابع : مقام خلافة اولى الاصطفاء ،وهو للأقطاب. وعدد الاولياء ، اصحاب هذه المقامات ،على ما اعطاه كشف المكاشفين ،مبلغه : خمسمائة نفس وتسعة وثمانون نفسا ،وعددهم عند المتمسكين بالاخبار ،وما اقتضته المعرفة ،بتتبع الآثار : ثلاثمائة واربعون وسبعة وخمسون وخمسة وثلاثة وواحد ،مجموعهم : خمسمائة وستة وخمسون ،وهذه المقامات ،مرتبطة باربعة علوم ،يرتقى بها حائزها لمنازل بحسب ما حصل عليه من الوهب الربانى العارفون ،وقد اعطى لسان التعبير عنها ، جماعة من ذوى الفتح الكبير ،مثل الامام ابن عربى قدس سره ،فالاتيان بما يخالفه ، من قبيل الافتيات ،لان الكشف الصحيح ،لا يخالفه ،الا القاصرون ،لكونه دائما يوافق النص الصريح ،فكلامه فى تفصيل هذه العلوم ،وما تشتمل عليه من المنازل ،لا ينبغى الخروج عنه فيها ،لذلك اقتصرنا هنا ،على ما فتح الله به من الاستمداد على يد روحانية سيدنا ــ رضي الله عنه ــ اعطاء للسؤال حقه ،ووقوفا مع شرط الاقتراح ،وبالله التوفيق.

السؤال الثانى

كم منازل اهل القربة ؟

الجواب: اعلم ان هذا السؤال، احد اسئلة المقترح، التي جاء بها من عند ياته، لكون سؤال الحكيم الترمذى، واقعا عن اينية منازل أهل القربة، وهو هنا واقع عن عددهم، وهو بقدر عدد انفاسهم، وكل واحد من ذوى القربة، يحل منازله بقدر ما قسم له من الانفاس فى الطاعة، ولا يزل يصعد في منازله، حتى يحل مقام المحبوبية، فيكون منفردا بربه، يدل على هذا، قوله فى الحديث القدسى: ما تقرب الي عبدى بشيء احب الي مما افترضته عليه، ولا يزال عبدى يتقرب الي بالنوافل حتى احبه، فكل من ادى فرائضه، فهو من المقربين، وان كان فى اصطلاح القوم يطلق اسم المقربين، على فرقة من الصديقين، وهم متفاوتون فى الترقى بحسب الاكثار من العبادة، ولا شك ان من جاء بحسنتين، ارفع منزلة، ممن جاء بواحدة؛ فذو الحسنة، له منزلة واحدة، لها عشر درجات، وذو الحسنتين، له منزلتان، لهما عشرون درجة، وقس عليهما، وحصر منازله، لا يتاتى له، الا بعد احصاء ما عمله من نوافل الخيرات، بعد اداء فروضه، وهو غير ممكن للبشر، فالسؤال عن عدد المنازل من باب السؤال قبله، وقد يكون المتصف بالقرب، فى حالة، وينتقل منها لما هو اعلى او لما هو اسفل، بالنظر لما كان متلبسا به من العبادة، وان كان فى الحقيقة الاسفلية والعلوية طارئة، يرشد لذلك الحديث الشريف من قوله: اقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد، فالسجود الذى بعده، عبادة اخرى لا شك انه يقتضى ان يكون اعلى، من حيثية الاقربية، واسفل منزلة، من اللحظة التى يصرفها فى تلك العبادة بعده، وان كانت حالة الاقربية، غير مستمرة عليه، الا اذا كان من الذين سجدت قلوبهم، فساجد القلب، لا ينتقل من السجود، عن السجود، وهو الذى قال فيه شيخ سهل ابن عبد الله، لما دخل سهل يعوده، وسأله بقوله: ايسجد له القلب، فقال شيخه: الى الأبد، وكان ذلك حال سهل، مذ كان ابن ست سنين، فلزم شيخه بعد جوابه، وعلى كل حال، فالمطيع كيف ما كان من المقربين، غير انه، لما كان وصف المقرب، لا يطلق الا على مؤدى ما افترض الحق عليه، او زاد من النوافل على ذلك المفترض، قد يقال: ان المومن العاصى وان كان وليا باقراره بالتوحيد، ليس له منزلة القربة، فلا يندرج فى عدد المقربين نقول: هو هنا، مندرج فى مقام القربة، من حيثية كون الحق منحه بالايمان، والايمان وحده

كاف فى الاستدلال على تقربه من الحضرة القدسية ،لكونه اول الفرائض،ثم لا يزال يرتقى بعد ادائه لهذا الفرض الاولى منزلا بعد ما فيه نزل، وكل ميسّر لما قدّر له فى الأزل ،حتى يتوافاه الحق على ما شئ من حال وقول وعمل ،فى السر والجهر وفى هذا البساط ،اقول بانبساط، حسبما اورده علينا الوارد ،فى هذه الموارد :

منزل القربة أعلى منزل ، لم يزل يرقى لها كل ولى
منهم من ادرك الفوز بها ، بالذى أحسنه من عمل
وترقّى بعضهم فيها الى ، حضرة الانس بتخصيص العلى
وحباه الرّب فى حضرته ، موهبات لم تنل بالحيل
قال ياعبدى استجب محتسبا ، لى واسجد واقترب فى الخلق لى
قال لبّيك انا العبد فخذ ، بيدى فى الخلق واستر زللى
أنت مولاى وما لى عمل ، يوجب الفضل الذى تسديه لى
لست احصى ما به تتحفنى ، من جميل لم يزل لم يزل
لم ازل فى نعمة تتبعها ، نعم فى عدد متصل
لك شكرى وارى شكرى لها ، لا يوفى حقه من قبلى
لك شكرى حيث لى تنسبه ، ليرى منك لك الشكر الجلى

السؤال الثالث ،ما معنى العساكر ،فى الفاظ الأكابر ،

الجواب: اعلم اولا ،ان المراد بالاكابر ،اهل الفتح ،وغيرهم أصاغر ،وهم اهل الحجاب ،فالعساكر عند المحجوبين ،طائفة من جنود الملوك ،المنظمة بعدة خصوصية ،ولباس رسمى ،كما هو معروف بين العموم ،وأمّا العساكر عند اهل الفتح فتطلق بازاء معان ،بحسب المقامات التى ترتقى اليها ،والمحلات التى تنزل فيها ، مع تجليات ،تقضى بتنزيه بعضها عن الحلول ،والاتحاد ،مما هو عال منها ،كاسماء الحق التى هي العساكر المستولية على ما تجلّت عليه من المكونات ،وانتظم بها ملك مكونها ،بأسرار اودعها فيها ،ولاسم الملك منها الرياسة فى تدبير العالم ، الذى تجلى عليه بواحد منها ،وان كان للاسم الجامع ،الذى هو اسم الجلالة الله ،الهيمنة العظمى ،بين سائر الأسماء ،ولكن فى تخصيص اسم الملك ،بالتدبير الخاص ،ما يبهر عقول الخواص ،فضلا عن العوام ،الذين لا اطلاع لهم على ما

تضمنه من الاسرار العالية ، التى منها التجلى فى يوم الدين بمظهره ، بعد اسم الرب الرحمان الرحيم ، فهو رابع الاسماء التى اشتملت عليها ام الكتاب ، فالله تعلى رب العالمين ، الممد لهم بما يليق بكل عالم ، وكل فرد من افراد العالم ، بل وكل ذرّة ، بل وكل ما هو أدقّ منها ، حتى ما لا يتجزّؤ ، من كل محسوس ومعقول ، من كل ذات ، اوعرض ، وغير ذلك ، مما يدخل فى حيّز المكونات ، وما سيكون منها ، فقد تكفّل الرب بتربيته ، وتولّاه فى الايجاد والامداد ، بسر رحمانية الرحمان ، ورحيمية الرحيم ، لكونه هو المالك الحقيقى لسائرها ، فاقتضى ان يتجلى عليها ، فى عالم الغيب ، من وراء الربوبية ، والرحمانية ، والرحيمية ، بمظهر الملك ، الذى هو ملك يوم الدين ، المستحق للعبادة ، فله الجلال ، وزاد عليه اسم الجلالة ، باشتماله على ما اعطاه من الحقائق ، لهذا الاسم ، ولغيره ، بانفراد معنى خاص ، او اشتراك معنى جامع بين اسمين فأعلى ،

الملك للـه وحـده .	بسـره قد امـدّه
لو لم يكن قد تجلّى .	عليه ما حلّ عقده
اسماؤه قد تسامت .	لذاك أصبحت عبده
فهو المليك اذا ما .	عرفته نلت حمده
ولا مليك سـواه .	فلا ترم منك حدّه

ومـن العساكر ، عند الأكابر ، عزائم النفوس ، على اداء الامانة ، التى حملها الانسان الكامل ، وغيره ، من هذا النوع ، الموصوف بالظلم والجهالة ، بحمله لها ، دون اختيار منها ، فهو على الحقيقة ، بالغفلة عما يراد منه بما يريده ، جهول بكنه من عرض الامانة عليه ، فكانت عزائمه ، من جملة العساكر ، وهي بعض الواردات ، الواردة عليه ، من حضرات الغيب ، فالعزائم بعض من العساكر ، فى الاطلاق العام ، الذى يشمل النيات وهي التى تقوم بها الاعمال الشاملة ، للافعال والاقوال ، مع توجيه الهمة ، للقيام بعزائم الأمور ، وبشدائد كل امر يعرض لهم ، فان النيات والهمم ، عندهم ، جنود قوية ، فى الحصول على المطلوب ، وفق المرغوب ، فما توجّهت نيتهم لشيء ، الا وفازوا بنتيجته المطلوبة ، وان لم يعملوا فيه عملية بمقتضى ، نية المومن خير من عمله ، فمدار الاعمال عندهم على النية ، ولا اعتداد بعمل بدون نية ، بدليل ، انما الاعمال

بالنّيات، ولا اعتداد بعمل بدون نية وآنما لكل امرئ ما نوى، وقد ورد ان الشخص يجد فى كتابه، أعمالا لم يكن عملها، فيتوهّم ان ذلك الكتاب ليس بكتابه، فيقال له: انك نويت ذلك، فكتب لك فى كتابك، فلا ينقص لك من اجرك شيء، فللنيات عمل قوىّ فى التحصيل على النجاح فى الأمور، بما جعله الحق لها، من هذه الخاصية العجيبة، وقد صدق من قال: انها اكسير الأعمال،

انما النية اكسير العمل . فبها يدرك فى الكون الأمل

كل فعل دونها صار هبا . وبها كل مرام قد كمل

وكذلك الهمم، فقد كادت ان تفعل، لما اودعه الله فيها من القوّة العسكرية، ولقد غلط فى نسبة التأثير لها، بعض الرياضيين، لما شاهده من انفعال الاشياء بها وفق المطلوب، مع انه، لا تأثير لشيء، مع المدبّر الحكيم،

مدبّر اتّمر أدرى بالذى صنعا . فلا اعتراض عليه فى الذى وقعا

فالكون ملك له وهو المليك وهل . تصرّف معه لغيره سمعيا

وكل من ظنّ تأثير السّوى معه . فهو الذى ضلّ بين القوم وانخدعا

فالعقل والنقل قالا باستحالته . مع مالك فى الوجود ملكه اتسعا

ثـم ان الهمم التى هي عساكر ذوى الشّأن، لا بدّ أن تثير هموما، تلازم أهلها، حتّى قال القائل:

وقائلة: لم عرتك الهموم . وأمرك ممتثل فى الأمم

فقلت: ذرينى على حالتى . فان الهموم بقدر الهمم

ولا أهمّ عند العارف، من دفع الهمّ، الذى أوقفه دائما فى موقف الخوف من سوء الخاتمة، فهو فى همّ طويل، لا يقف معه فى بساط انبساط، بالأمن من المكر أبدا الا اذا بشّر على لسان المعصوم، ولم تقع البشارة به، الاّ لأفراد من الصحابة، وأمّا غيرهم، ممّن ليسوا بأنبياء، فلا ركون لهم للأمن، البتة، وأمّا الأنبياء، لا كلام لأمثالنا معهم فى هذا المقام، فهو فوق ما نعرفه فى حقّهم، من الادب اللاّئق بجلالتهم، وجلالة الحقّ الذى عرفوه، أتمّ معرفة، وانّما لم يقف العارفون، فى مواقف الأمن، خوفا من الخسارة، اللاّحقة بالآمن من مكر الله، ولما يشاهدونه من تقلّبات الواردات التى لا تقف عند حدّ محدود، فى المشاهد العيانية، ولا فى

الحدّ الفير المحدود ، فى المقامات العرفانية ، لكون الحقيقة ، مفيّبة عنهم ،

ومن غاب عنه فى المشاهد حكم ما . يراه تراه خائفا يترقّب

ومن هذه احواله كيف حاله . اذا ما رآى امثاله تتعذّب

ثم ان الحقائق والواردات والهمم والنيات ، كلها عساكر قهرية ، يتقدّم بها صاحبها فى ميادين الأعمال ، على قدر ما له من الاستعداد ، من قابلية التوفيق المنوط به ، او الخذلان الذى يسوقه ، بالقضاء المحتّم ، الى ما تدعوه حقيقته اليه ، من غير تغيير لما جرى فى أم الكتاب ،

تجرى الامور على وفق القضاء ولا . تزال جارية فى حسن تنظيم

ولا مردّ لحكم الحق وهو جرى . وفق الحقيقة فى عجيب تقسيم

فلكل من هذه العساكر ، تنظيم بديع ، يجرى بمقتضى الترتيب الذى لا تخلّف له فى الوجود العينى ، والذهنى ، والخارجى الدنيوى والاخروى ، زمانا ومكانا ، بما يقف امامه العارف فى دهش ، لا يدعه يفصح عما يخامره فيه ، من نشوة المعرفة ، وفى هذا المقام ، نختصر المقال ، بنقل ما يرشد الى ذلك ، فان للواردات ورادا خاصة ، وموارد بمزاحمة تنوعاتها غاصّة ، وللحقائق اجمالا وتفصيلا ، وقد اشار ابن عطاء الله فى حكمه ، الى ما يبرئ العلة ، ويبرد الفلة ، فى هذا المشرب الخاص ، فلنقتصر على ذكر متنه ، مع عقد جوهرة ، من نظم شيخنا العلامة الرئيس ، سيدى الحاج عبد الكريم بنّيس ، ابقى الله حرمتهما ، فى نظر العامّة والخاصة ، ليدوم النفع للجميع ، وها انا ذا اضع امام المطالع ، بعض ما ذكراه فى الواردات والحقائق ، والحقوق المنوطة بالسالك وما فيه من قابلية النوار ، وما يعمر به سوق عمره ، فى نيل الاسرار ، ليتنزه فى بستان المعارف ، الذى يقطف من ثمارها كل قاطف ، قال الحكيم : الحقائق ترد فى حال التجلى مجملة ، وبعد الوعي ، يكون البيان ، فاذا قراناه فاتبع قرآنه ثم ان علينا بيانه ، قال ناظمه المذكور :

ان الحقائق قد تأتيك مجملة . حال التجلى وبعد الوعي والمهل

ياتى البيان كما جاء الكتاب به . اذا قرأناه فاتبع وذاك جلى

متى وردت الواردات الالاهية اليك ، هدمت العوائد عليك ، ان الملوك اذا دخلوا قرية افسدوها وجعلوا اعزة اهلها اذلة ، الوارد ياتى من حضرة قهّار ، لذلك لا

يصادفه شيء الا دمغه ،بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهــق

قال ناظمه :

الواردات اذا وافتك هادمــة . لك العوائد من اخلاقك السفـــل
ان الملوك اذا تشير جملتهــا . لذى المعانى لذى من كان ذا قبل
جاءتك من حضرة القهار دامغة . كل المصادم من غي ومن خطــل
والحق يدمغ باطلا فيزهقــه . كما الكتاب له اشار بالجمـــل

لا تدهشنك واردات النعم ،على القيام بحقوق شكرك ،فان ذلك مما يحط من وجود قدرك ، لا يدهشنّك وارد من النعــم. عن القيام بحق الشكر للخـــول

فالعلم منك بان الله موردها . عليك اعظم فى شكر من القــول
وروءية العجز عن شكر بلا اد بتحط قدرك عند الله للسفـــل

لا تطلبنّ بقاء الواردات ،بعد ان بسطت انوارها ،واودعت اسرارها ،فلك فى الله غنى عن كل شيء ،وليس يغنيك عنه شيء ،

لا تطلبنّ بقاء الواردات وقد . بسطن انوارها عليك كالحلل
واودعت سرها المكنون فيك ففى . مولاك عن كل شيء غاية الأمل

قلّما تكون الواردات الالاهية الا بغتة لميلّا يوعيها بوجود الاستعداد ،

الواردات التى تاتى الفتى تحف. تاتى على بغتة من دون ما حيل
صونا لها عن دعاوى العابدين للاستعداد وهي على ما شاء فى الأزل

اذا رأيت عبدا اقامه الله بوجود الأوراد ،وأدامه عليها مع طول الامداد ،فــلا تستحقرنّ ما منحه مولاه ،لأنّك لم تر عليه سيما العارفين ،ولا بهجة المحبّين ،فلولا وارد ما كان ورد ،

اذا رأيت الذى امد دون مدى . وكان دائم ورد غير منفصـــل
ولم تبن لك سيما العارفين بــه. ولا نضارة اهل الحب والنحـــل
فبجّلنه ولا تستحقرنه فما اســـتدام ورد بغير وارد جـــلل

لا يستحقر الورد الّا جهول ،الوارد يوجد فى الدار الآخرة ،والورد ينطوى بانطواء هذه الدار ،واولى ما يعتنى به ،ما لا يخلف وجوده هو طالبه منك ،والوارد انت طالبه منه ،واين ما هو طالبه منك ،مما هو مطلبك منه ،

لا يستخفّ بورد غير جاهلـــه . فهو الأحقّ برعي لا الى اجـــل
لأنه ينطوى بطيّ دار فنـــى . وقد طلبت به فافعله عن عجـــل
زالواردات لها بدار آخرة . كون وتطلبها منه بلا مهـــل
واين ما ينقضى مما يدوم وما . تبغيه مما به طلبت من عمـــل

ربما وردت الظلم عليك ،ليعرفك قدر ما من به عليك ،

فربما وردت على الفتى ظلم . يدرى بها ما له عليه من نحـــل

انوار اذن لها فى الوصول ،وانوار اذن لها فى الدخول ،ربما وردت عليك الأنوار فوجدت القلب محشوا بصور الآثار ،فارتحلت من حيث نزلت ،افرغ قلبك من الأغيـار ، يملؤه بالمعارف والأسرار ،

فالنور يوذن بالوصول منه فان . يوذن له بدخول فاز بالأمـــل
وربما وردت انواره فرأت ــــ . قلبا بصور غيّ الكائنات ملـــل
فارتحلت عنه للأفق الذى نزلت . منه لطهرتها عن منزل الوغـــل
ففرغ القلب عن كون لتملأ ـــ ه . لك المعارف والأسرار بالنحـــل

حقـوق فى الأوقات يمكن قضاؤها ،وحقوق الأوقات لا يمكن قضاؤها ،اذ ما من وقت وقت يرد الآ ولله عليك فيه حق جديد ،وأمر اكيد ،فكيف تقضى فيه حق غيره ، وانت لم تقض حق الله تعلى فيه ،

من الحقوق حقوق تقتضى ولهما . وقت اذا فات تقضى فى سوى الأجل
والوقت ايضا له حق عليك ولا . يقضى بغير وحق الغير لم يـزل
ووقتك الوارد الوقتي فاعن بـه . وادّ حقا اليه وهو لم يحـــل

مـا فات من عمرك لا عوض له ،وما حصل لك منه لا قيمة له ،

العمر ميدان اعمال وليس لـه . ان فات من عوض لا لا ولا بـــدل
وحاصل العمر شيء مقتنى وبه . تنال ملكا كبيرا غير منتقـــل

وذلك كله بمعاونة العساكر الواردة من حضرة التجلّى على من توجهت اليه وكـان فيه قابلية لما يقابله به التوفيق ،فيقوم بمقتضاه ،سيما من كان ذا همم تسموا به فى مدارج المعرفة بالله ،قال الحكيم رضي الله عنه : لا تتعدّ همّتك الى غيره فالكريم لا تتخطّاه الآمال ،ونختتم هذه الحكم بقول ناظمها :

الحرز والهمّة العلياء يانف من . غير الكريم فلا يرضاه للآمل

وفى هذا كفاية عن الزيادة فى تتبّع ما يتعلّق بالجواب عن هذا السؤال الذى يحتاج فى تحقيق المقام فيه الى بسط مقال ، والله الموفّق .

السؤال الرابع: ما معنى حيازتهم لها ؟

الجواب: هذا السؤال من من زوائد السائل على أسئلة الحكيم الترمذى ، لأنه لم يسأل عنه الحكيم الا ضمنا فى استفهامه عن الشيء الذى حاز الأكابر به العساكر ولا بد من معرفة الحيازة ، وهي تختلف فى الاطلاق ، بحسب جنس العسكر من الواردات والنيات وغيرها ، فى اجمال او تفصيل ، ولا يتّضح المعنى المقصود من الحيازة الآ ببيان ما يحاز ، فالحقائق والهمم التى هي مثلا من العسكر ، قد تحاز بالتصرّف فيها على وجه الملك ، او الانتفاع ، ولا ملك لأحد مع الله لشيء ، الا بتمليكه له على ضرب من المجاز ، حيث ان الملك الحقيقي ، لا يكون للعبد مع مولاه ، من سائر الوجوه ، ولا معنى للحيازة من غير تصرّف فى الشيء المحوز ، لأنّه يكون حينئذ غير محوز ، وقد يحوز الشخص ماليس له بالغلبة ، فيكون يصرّفه فيه قهريا ، والمحوز دائما فى تنصّل منه ، مهما وجد فسحة للانتصار عليه ، والخروج عن دائرة تسلّطه عليها ظهر ما فى طوقه ، فهو فى الحقيقة غير محوز ، فهو فى الباطن دائما ينتصر لمالكه ، كما انّ مالكه ينتصر له ، ان كان مالكا حقيقيا ، وهو الذى رحمته وصف ذاتى له ، فكان رحمانا ، وهو الله الرحمان لا سواه ، أيّا كان ، ان كل من فى السماوات والارض الّا آتى الرحمان عبدا ، فهو المالك الحائز بالاستحقاق ، ولا يخرج الملك عن ملكه البتّة ، ولو رام اخراجه الملحدون وها هنا مقام ، زلق لمن مشى فيه من غير تثبّت ، وسلك فيه بتعنّت ، فوصف نفسه أو وصفه غيره بالرحمان ، وهو وصف متبرىء منه ، كما فعلت بنو حنيفة ، فى وصفهم لمسلمة ، حيث قال قائلهم : وأنت غيث الورى لا زلت رحمانا ،

وهو غير رحمان ، لأن الرحمان ، هو المالك الحقيقي ، الناصر لمملوكه ، قد ينصره بمقتض : ان تنصروا الله ينصركم ، فكان للعبد هنا ، من تجلّيات الحق عليه ، أعظم تجلّ ظهر به فى صورة ناصر لمن انتصر له بما نسبه اليه من النّصر ،

قف ها هنا فى خضوع . اياك ترفع رأسك

واعلم بأنك عبد . واحذر من الناس بأسك

فان سقيت بكأس . فاحفظ من الكسر كاسك

فصار الملك الحقيقى منصورا بمملوكه الذى قواه بامداده الرحمانية الطالبة لمرحوم الرحمانية، والحق لا يرحم نفسه، لأنها غنية، وانما يرحم غيره الذى ظهرت فيه الرحمانية، وقد اشتملت سورة الملك على ما يكشف الغطاء عن مخدرات معانى العاكر فى الفاظ الاكابر، حقيقة ومجازا ويوضح لك المقام الوقوف امام الاستفهام يغى توبيخ من لا يعترف بالحق، او اعترف به من غير معرفة كبرى من قوله تعلى : تمن هذا الذى هو جند لكم ينصركم من دون الرحمان،

بعيشك لا تسرع بلومك لى على . مقال اراك الحق حقا بلا شك

ورب مقال لا يوفّى المقام ما اقتضاه من التحقيق فى جيّد السبك

فادى بانكار على من يقوله . وحق له انكار مالك ذى ملك

وهذا مقال تقشّعر جلود من . له سمعوا ان لم يكونوا ذوى نسك

وان عرفوا القصد استراحت نفوسهم . بما احرزوه من رضى مالك الملك

تعال اخى نثنى على الحق فهو قد . تعالى ونزهه معى عن هوى الشرك

فلا رب الا الله مالك خلقه . وليس سواه مالك فى ذوى الملك

تبرأ من النفس التى نازعتك فى . مقالى وقل يانفس لست انا منك

وانى لأرضى عنك ان تشكرى الذى . له ان تديمى الشكر يرضى به عنك

فاتضح لك ان الملك والتصرف على الوجه الحقيقى، او المجازى، هو معنى حيازة الاكابر للعساكر، غير ان الملك والتصرف في هذه العساكر التى هي الحقائق والهمم والنّيات والواردات التى اطلقنا عليها العساكر قد لا يظهر لمن لا يستحضر باله فى فهم المقصود منه مع ما يراد من التصرف، فان الهمم وما عطف عليها امهات يتولد منها عساكر جلالية وجمالية، ترجع اليها فى النشأة، ولا يكاد يخرج عن دائرة احاطتها شيء من العساكر عند من القى السمع وتتبّع افراد مولداتها هذه العساكر مع ارتباط معنى تصرّف بعضها ببعض، فلنكتف بما قلناه، فان زيادة توضيح هذا المقام، لا يزيده الا غموضا، فنكفّ عنان القلم، عن بسط القول، فالمقام مقام زلق، وقد اريناك بعضا من ذلك، فى تحديثك بما حدثنا به الوارد، فقف عند الحدّ المحدود ولا تزد، ولعل السّائل راى ان هذا السؤال لا يفصح عن تحقيقه احد، لصعوبة مدركه، فسأل عنه، ليزيد فى امتحان المجيب، وليتمكّن من التعجيز الذى قصده من

التجانيين بهذه الاسئلة ، ولولا أن الوارد أجبرنا على التصريح بما أخبرنا به لأعرضنا عن الخوض في مثل هذا البحر العميق ، والله الموفق

ما كل ينكر يذكر في مجالس الأحداث في الطلبه
وحامل السر الذى جل لا يبديه في الناس لمن طلبه

ومن هذا المعنى قولنا :

السر ليس بسر ان تذعه ولو أعطاك في كتمه اليمين من طلبه
وهل يسمى بسر ما تبوح به والناس كلهم له من الطلبه

السؤال الخامس الذين حازوا العساكر بأى شئ حازوها

الجواب : لا تتوفر حيازة جميع العساكر لأحد من غير المعصومين الا نادرا من بعض الأفراد المحمديين ، وكل من حاز منهم بعضا منها حازه على قدر قابليته التي خص بها من حضرة الوهب ، واستعان عليها بالتخلية عن الرذيلة ، والتحلية بالفضيلة ، في الخلوة والجلوة ، حتى واجهته حضرة الأسماء بامداد خاص ، فجاز بها هذه العساكر بين الأكابر ، فعلى قدر الاستمداد من حضرات الاسماء ، وانفراد الوجهة للمسمى ، قويت سيطرة حائز هذه العساكر ، وتمت حيازته لها بذلك ظاهرا وباطنا ، فيتخلق بأخلاق المالك الحقيقي ، فيتصرف في ملكه ، ولو كان عبدا

فيحكم مثل سيده وتبدو عليه بذاك أعلام المزيد
له تعنو الوجوه اذا تبدى كما تعنو الملائك للسجود

فيكون قبل ذلك متمكنا في مقام الحب في الله ، والبغض في الله ، فهو دائما يجد من نفسه بصدق واخلاص وعزيمة قوية ما لا يجده من لم ينخرط في زمرة أمثاله ، وهو على قدر ما قدر له من المعرفة بالله يعامل خلقه ، وأعظم الخلق تمكنا في معاملة المالك ، والممالك هم الأنبياء ، لأنهم يعطون الحق خلقه ، وللخلق ما استحقه ، فهم ينظرون للحقيقة ، بعين الحقيقة ، وهم واقفون بأدب تام ، قد اقتدى بهم فيه بعض ورثتهم من العارفين . أما غيرهم فتستولي عليه الحيرة بدهش مفرط في اعطاء هذا المقام حقه ، وكم من قدم قصيرة الخطى زلت هنا بما وقعت فيه من الخطا ، ولم يتخلص من وحلته الا القليل منهم ، خصوصا عندما يرى انفعال الأشياء له طبق ما تشوفت له نفسه ، فيشتبه عليه الأمر في حضرة الأفعال ، هل هو الفاعل أو غيره بعد ما تمكن في توحيد التوحيد ، فأحرى

من

من لم يصل الى مقام التجريد، وشاهد شيئا ما من تصرفاته بعساكره التي حازها باطلاق وتقييد

تصرف العبد فيما ليس يملكه　　قد لا تكون له عليه من شفقه

ومالك الشيء لا يزال محتفظا　　عليه ان يرع فيه حق من خلقه

فيتملك الحق لحائزى العساكر، حازوها، وهو الشيء ~~المطلوب~~ المسئول عنه، وموجب التمليك سابق العناية، وليس ثم غير الحق، النافذ حكمه ببديع العدل القويم، أو الفضل العظيم

ليت شعرى ما موجب الفضل والعدل من الحق في مجالي الحقائق

ما أرى موجبا سوى ما لحق　　من كمال به وجود الخلائق

وبهذا تم وضوح الجواب عن هذا السؤال، والله الموفق.

السؤال السادس الى أين منتهاهم ؟

الجواب يتوقف على معاد الضمير، هل للعساكر أو لحائزيها ؟ والظاهر عوده على الحائزين لتذكيره، وان كان مدلول العساكر لا يراد به غالبا في الاطلاق الا المذكر، ولكن جمع التكسير، وان كان للمذكر يجوز عود الضمير عليه مؤنثا، وهو الغالب، ومنه قول الزمخشرى:

ان قومي تجمعوا　　وبقتلي تحدثوا

لا أبالي بجمعهم　　كل جمع مؤنث

وقد نطق القلم هنا في محاكاته بمعارضة أدبية فقال:

كل أنثى منها البلا　　وحدها صار يحدث

كيف أصبحت لا تبا　　لي بجمع يؤنث

وعلى كل حال، فمنتهى حائزى العساكر في ترقيهم في مراتب العرفان هو شهود من لا أين له، وهو الحق جل ذكره

فالى الحق منتهى سير أهل السير لم يقنعوا بغير وصاله

قد دعاهم فما تخلف منهم　　أحد في جوابه بين آله

تركه غيره فكان بهم　　استغناهم باستغراقهم في جماله

عرفوا الله وحده واليه　　كلهم سار خاضعا لجلاله

مالهم مطلب سواه فهم ان　　أدركوا قربه اكتفوا بكماله

فاذا

فاذا قرر هذا رجعنا القهقرى الى الأين المسئول عنه، حيث لم يقع السؤال الا عنه، ولم يقع سؤال منه عن المنتهى لكون العارف لا يخطر في باله تحديد المنتهى بحد :

ليس للحق منتهى — حيث لا مبتدا له
ورضاه عن عبده — قد أزال اعتلاله
وهو معنى وصاله — حيث يبغي وصاله
ان للأين غاية — لم تناسب كماله
دائما كن منزها — عنه عبدا سما له
وهو في الأين قد غدا — ثم يبغي انتشاله
وتعالى الاله في الـ — ـعز عما ترى له
لم لا وهو قد علا — لأنو في الثنا له

فابنية منتهى حائزيها اتصال كل واحد منهم بالرتبة التي انتقل منها النبي الذى قدم هذا الحائز على قومه في المعرفة بالله، فهو دائم الترقي من ورائه حذو النعل بالنعل، ولا يتعدى هذه المرتبة أبدا، مع عدم الطمع في نبوته، لأنه لا يمكن لغير النبي أن يتقدم على النبي أبدا

ان النبوة لا ينال مقا — مها غير النبي
خصت بمن هو أهلها — فضلا بغير تكسب
ان الولي ولو سما — في الفضل أعلى منصب
وازداد في عرفانه — رتبا بأبهج موكب
وعنت له كل الرؤو — س وأذعنت بتأدب
وغدا يرى شمس الهدى — في مشرق والمغرب
ما حل رتبة النبـ — ـوة عند كل مقرب
فاقدر بذلك قدرها — فسناؤها لم يحجب

وأزيدك أن ترقي الولي في المعارف ينتهي بموته، بخلاف النبي فهو في ترق دائم في حياته وبعدها، وأكمل الأنبياء ترقيا في الدارين سيد الوجود محمد بن عبد الله عليه السلام، وقد نوه الحق به عليه السلام في حضرة الامتنان عليه بهذه المزية فقال (ورفعنا لك ذكرك) وقال (وللآخرة خير لك من الاولى ولسوف يعطيك ربك فترضى) فهو دائم

الترقي

الترقي في المقامات العرفانية ، مع احرازه من المواهب اللدنية ، ما لا يخطر على قلب مخلوق ، فاذا تحققت بهذا — وما اخالك الا عارفا — فان أينية حائزي العساكر قد يكون مع موروثه في دار النعيم ، اكراما له بسر الوراثة التي تقدم بها في هذه الحضرة العالية ، وليس ذلك بدال على تقدمه على النبي المتقدم أو المتأخر في درجات المعرفة بالله

ان للانبياء في رفعة القـــدر مقاما لغيرهم لا يكون
وهم في العرفان فاقوا سواهم بالذى أحرزوه وهو مصون
قد رأوا في الدارين ما لا تراه من جمال ترصدته العيون
ورأوا ما يحل أن يتراءى لسواهم ممن لديهم شؤون
منتهى العارفين مبتدا الأصغر منهم وهم جميعا عيون
كلهم ألسن على الله تثني بثناء به تناهت فنون

فالأنبياء عليهم السلام لا منتهى لترقيهم في المعارف لتجددها المستديم بدوام من لا انتهاء لكمالاته ، المتنزه عن التجدد في ذاته وصفاته ، وهو في الشؤون التي يبديها لا مثل له جل علاه .

نزه الحق فللحق الحقيقي رفعة الشان
لم يزل جلا علاه كل يوم هو في شان
ان عنديته لم تتصور عند أذهان
ما له فيها تناهى عند اسرار وا علان
ما لديه من مكان كان في حيز امكان
ما لديه من زمان كان في الماضي وفي الآن
فهو قد كان وما زال على ما كان في شان
شأنه شأن عظيم ما له في الكون من شان
منتهى العارف منه هو عرفان باحسان
لم يزل يقظان فيه وهو فيه غير ولهان
فاعجب ان تعجب لعرفان به الحيرة للفاني
وأرى أعجب منه حيرة تأتي بعرفان
رب زدني حيرة فيك فأضحى خير انسان

فانا

فأنا أصبحت من حيـــرة نفسي غير حيران

رب زدني منك علـمـا   ولتكن لي طول أحياني

فأنا جهلي أفنـا   ني وعلمي بك أحياني

وهاهنا يجمل بنا الرجوع الى الكلام على منتهى العساكر، حيث كان لها مثل حائزيها منتهى زيادة على ما تقدم، ولنختصر القول في الاقتصار على الأمهات الأربعة المتقدمة فنقول: ان منتهى عساكر الهمم لا تقف الهمم العالية عند منتهى بعده منتهى، لأنها دائما تتشوف للوصول الى ما هو أمامها من المراتب العالية، ولا يحبسها عن الوصول لما لا تجد قدرة للحصول عليه الا العجز الذى لا سبيل لها الى دفعه، عنها بأى دافع فكل ما هو من قبيل الخير المحبوب الا ولها تشوف للحصول عليه، والظفر بالغاية القصوى فيه، مما نالت منه ما قدر لها، وهي من العساكر القوية التي يجوز بها صاحبها خوارق العادات، وتنفعل بها الأشياء انفعالا يعد من أعظم الكرامات، حتى انها لترقى في الحال من توجهت اليه الى أرفع المقامات، وقد ربي بها الشيوخ الكمل مريديهم، حتى أوصلوهم الى ما لا يصل غيرهم اليه الا بمجاهدات، ولا كلام لنا في الهمم الساقطة هنا، لأنها ليست على الحقيقة بهمم. وكل ما رمى بالمكلف الى ارتكاب معصية فهو من قبيلها الذى هو من حزب الشيطان المشغوف بالساقط من كل شيء، والله يحب معالي الأمور، ويكره سفسافها. وأما منتهى عساكر الحقائق فمتفرع عن معرفة ماهية الحقائق، لأن الحقائق لا تتبدل، والمقصود منها هنا الوقوف بحائزها على التحقق بها في كل شيء، حتى تنكشف له على ما عليه انكشافا لا غلط معه فيه، ولها ارتباط قوى بالهمم تتنزل اليها من حضرات الغيب الى حضرات الشهود بمشاهدة عيانية، أو تجليات عرفانية. وما دامت في حيز الخفاء على صاحب الهمة الا ولا قرار له، حتى ترد عليه مجملة ومفصلة طبق ما أشرنا اليه آنفا. وسائر الحقائق يمكن الاطلاع عليها الا حقيقتين: حقيقة الذات العلية، والحقيقة المحمدية، فانه لا يعرفها الا اله. فالحقيقة الاولى لا طمع من الدنو اليها لاضمحلال كل ما سوى الحق عند ما تتراءى مبادئ طلائع النور الحقاني، فأحرى عند تجلي الحق الذى لو كشف عن سبحات وجهه لانحرف كل ما أدركه بصره من خلقه

هذى الحقيقة ليس فيها مطمع   وهي التي أنوارها تتشعشع

ظهرت

ظهرت ومن فرط الظهور خفاؤها ... ان الخفاء عن الظهور مفرع
لولا وجود وجود ربك ما بدا ... عدم به هذا الوجود يمتع
فوجودنا عدم وفي العدم البقا ... ء لنا وهذا كله متوقع
أفلم نكن في مخدع العدم الذى ... عنه وجود حياتنا يتنوع
سنعود فيه ونحن فيه حقيقة ... في الحال لكن بالجهالة نقنع
فاذا انجلى عنا غبار الجهل نشـهد في مجال حياتنا ما ينفع
فيهون في الدنيا علينا فقدها ... وفناؤنا فيها البقاء الأرفع
ورجوعنا للأصل فيه تمتع ... منا حقيقي به لا نخدع
واسكان ولا يزول ولا يزا ... ل كما عليه الآن كان به فعوا
من لم ينزه ربه في كونه ... عن كل كون فهو فيه مضيع
هذى الحقيقة لا سواها للذى ... طلب الحقيقة عند من تشرع

وأما منتهى عساكر النيات فهو تحصيل المنوى على وفق النية المتوجهة اليه على الوجه الذى هو في الحقائق عليه، لكونه قد يكون مخالفا لما عليه النية من حسن الظن، حيث أنه ربما يظهر المنوى لناويه في الصورة التي تخالف اعتقاده، فيتبرأ منه، لذلك كانت الأعمال بالنيات، والنيات عساكر تعمل بقوتها في الأعمال المتوجهة اليها، فتحصل نتيجتها، وان لم يعمل الناوى بمقتضاها، فمن نوى خيرا فوجد شرا، فهو في نفس الحقيقة خير لا تضيع فيه نيته الا اذا كانت عساكر نيته كتب عليها الشقاء، فهي ضالة في فيافي التيه الشبيه بتيه بني اسرائيل الذى ضلوا فيه أو أشد، كما عليه نية الملحدين وما قاربهم من أصحاب الأهواء الفاسدة

نية المرء ربما نفعته ... والى ذروة العلى رفعته
غير أن المطرود أعماله في ... عين سخط في ناره أوقعته
فهو في حسرة بدنيا وأخرى ... بالذى نفسه له صنعته
قد رأى ظنه جميلا ولكن ... عينه في الغرور قد دفعته
فغدا في الهوى يطير بلا أجـنحة فيه نفسه صرعته
ليت شعرى والشعر مني لا يفـصح عما في النفس نفسي وعته
ان أصرح بما يخامرها خا ... مرني العجب وهي ما وضعته

فكأني

فكأنى بها تجر رداء السيلا وعذارها خلعته
تطلب الحق وهي فى مرتع اللهو دعاها الهوى لها ودعته
وهي تنوى وصولها لمناها وأراها المغرور ما طاوعته
ان تكن نية بلا عمل تنفع فكم من ناو وما نفعته
فاجتهد أن تكون صاحب أعمال فكم من أعمى بخير رعته
ولتكن مخلصا مع العمل النيات فهي الذى بها وسعته
ولربما بها انتفع المرء وبالحق للعلى رفعته
وهي منا عساكر نظمت لكن نرى كم من عالم خدعته
فاعتمد فى الجميع منك على الله تكن ممّن نفسه نفعته

وأما منتهى عساكر الواردات، فهو تسكين النفوس العالية، بالحصول على ما وردت به، على اختلاف مواردها، والقيام بحق كل وارد، كما ينبغى فى سائر العزائم العينية والكفائية، وما ترد به فى بعض الأحيان، من العمل بالرخص، مع التفرقة بين سائرها، فى حالة السلوك والجذب، حتى لا يشتبه أمرها على من وردت عليه فى حال من الأحوال

عساكر الواردات خطبها جلل ونفعها لم يكن لمن له كسل
وشأن ذى الحزم أن يعنى بأوّلها من أجل ذلك فاق الآخر الأول
لاكن أمتنا الوسطى وان وردت فى آخر الدهر فهي ما لها مثل
ان فاق أولها فى الفضل آخرها فان آخرها لسرهم حملوا
والحق ان لذى التخصيص ميّزه بالفضل ما عنه أهل الفضل قد عدلوا
بذا قضى الوارد الذى به وردت عندى أحاديث لا يرى بها خلل
وكل من لم يقم بالواردات فقد أضاع منه غنيمة له تصل
وليس ينفعه فى فوتها ندم وليس ينفع فى ادراكها حيل

وهذه الواردات، وما هو متولد منها، كلها من العساكر التى تدخل تحت كسب العبد بتمليك مالكها الحقيقى له، حتى انه ليملكه التصرف فى غيرها من جنوده الغالبة لكل جند، مثل تصرف نبي الله سليمان، عليه السلام، فى الريح، وانتصار النبي عليه السلام، بالصبر، والرعب، والقاء الحصا من كفه، فى وجوه أعدائه، ونحو ذلك من التصرفات

التصرفات التى قامت بها العساكر الممنوحة لمستحقها من حضرة الغيب، وفى هذا مقنع لطالب الاستفادة، وبالله التوفيق

السؤال السابع، قد عرفنا أينية أهل القربة، وأينية منتهى العساكر، ومنتهى من حازوها، فأين مقام أهل المجالس والتحديث.

الجواب يكون أولا، ببيان المقام، وهو غير الحال، أو المراد به معنى الاقامة بعد الترحال، فأما المقام الذى يقوم فيه كالخطيب، من حل فيه، فهو غير المقام الذى يحط فيه عصى التسيار، وينشد فى حقه:

فألقت عصاها واستقر بها النوى كما قرّ عينا بالاياب المسافر

وكلا المعنيين، مقصود للسائل الحكيم، ليقوم المجيب باعطاء الجواب حقه، فلا يغفل عن تحقيق المناط، وأما ثانيا، فان المقام، لا بالمعنى الأول، ولا بالمعنى الثانى، منه عام، ومنه خاص، وقد يدوم فيه صاحبه، بحيث لا سبيل الى خروجه عنه وهو مقام واحد، عام فى حق كل ما خلق الله، وهو مقام العبودية، فان العبودية لا يمكن لمخلوق، الخروج عن دائرتها لان كل من فى السماوات والارض الا آتى الرحمان عبدا، وقد لا يدوم للنازل فيه بالانتقال الى ما هو أعلى، أو لما هو أسفل، بحسب الحال النازل بالنازل فيه، الى أن ينتهي الى المقام الذى نشأ فيه، وهو أرض العبودية، الشبيهة بالأرض المشار لها بقول الحق: منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى، فيدعو العارف، عند ما يصل لباب هذا المقام بقوله رب أدخلنى مدخل صدق وأخرجنى مخرج صدق

أرض العبودية الفسيحة قالت بلهجتها الفصيحة

انى أنا الأرض التى لهموم من يدرى مزيحة

فلداخلى نيل الهنا بالفوز بالرتب المليحة

اذ عنه قد كشف الحجاب وها انا ابدى مديحه

من يبتغى منى الخروج بنفسه رام الفضيحة

انى أبادر للذى يبغى السعادة بالنصيحة

سر فى أمان الله فى سبلى الى العليا الفسيحة

حتى تحلّ مكانة بعلى سواك رجيحة

وفى

وفى طريق السير قد يقيم بمقامات يرحل عنها بالفعل، أو يبقى مقيما فيها، مع نية الارتحال، فتكون هذه المقامات لصاحبها أحوال، وأعلى مقام من مقامات العبودية، المقام الذى حل سيد الوجود فيه، ولا زال مرتقيا فيه، الى أن يحل بالمقام الموعود فى قوله تعالى: عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا، وبشر من طلبه له بالشفاعة، واذ وصلنا الى هذا المقام المحمود، فنفيض القول فى أينية المقام المسئول عنه، فقد صرحنا لك بأنه، لا خروج لمخلوق عن أرض العبوذية، فلا جرم أن أينية مقام أهل المجالس والحديث فيها، لا تتعداها الى الألوهية البتة، وقد غلط من ادعى اتحادا أو حلولا، من الخلق فى الحق، أو من الحق فى الخلق، سيما عند ما تلمع لمعات أنوار التعرف بالحق، على من خاض فى بحر المعارف، وهو قصير الباع عن دفع الأوهام فيما تجلى له من وراء العقل، أو قصرت منه العبارة عن الوجه الذى رآه، وقلما عبارة وفت بالافصاح عن حقيقة الحق الحقانى، جل علاه، ان يعرب عن حقيقته معرب

ما الله الا الله ليس سواه هل أوجد الأشياء الا الله
أعطى الحقائق حقها فبدت به تزهو على وفق الذى أبداه
أبدى الوجود من العماء ولم تزل حجب العماء على جلال علاه
والخلق تاهو فى كمال وجوده ما فى الوجود أرى سوى من تاهوا
والتيه من ذات الجمال يزيدها عزا وهل فى الكون من واتاه
حاشى النبوة فهي أكمل منصب من نالها فالله قد رقاه
كملت عبودية الذى قد نالها ولدى العبودة قد تناهى الجاه
ان المقامات التى من تحتها من حلها بالله نال رضاه
يزداد صاحبها ارتفاعا كلما خفض الجناح وخاف من مولاه

ثم ان المجالس، يكون يجلس فيها من دخلوا لحضراتها، بقصد التحديث، وهم المحدثون عن الله، والمحدثون المشار لهم بقوله عليه السلام، ان يكن فى أمتى محدثون فعمر منهم، وهم بلا شك فى أمته، فعمر رضي الله عنه منهم، فى صدر مجالس التحديث، بين المحدثين والمحدثين، وهناك مجالس، ليس لأهلها حديث بما يتجلى عليهم فيها من جلال الحق، وسياتى الكلام على عددهم، عند السؤال عنه بحول الله، وأول حضرات التحديث، حضرة الصلاة، فى الفرائض والنوافل، حتى يخرج

عن

عن هذه الدار المتلبس بهذه العبادة الخاصة ، ويقع التحديث الشفاهي في حضرة تجلي الحق على العباد في المواقف الجلالية والجمالية ، وسنتعرض قريبا عند تعداد هذه المجالس وأهلها لبيان الأصل الذى استخرجها منه الشيخ الأكبر في جوابه ، والله الموفق .

السؤال الثامن : كم عددهم ؟

الجواب : ان المعدود المستخبر عنه ، اما أهل المجالس وأهل الحديث ، وهذا ما يفيده الضمير المضاف الى العدد ، واما الاستفهام عن عدد المجالس بتنزيل غير العاقل منزلته ، وعلى كل حال ، فان عدد المجالس ثمانية وأربعون عند الحكيم الترمذى ، وهو القول الصحيح على ما درج اليه الشيخ الأكبر ــ قدس سره ــ وأما عنده وعند العارفين السالكين على مسلكه ، فعددها ستة وثلاثون ، وهذا القول باعتبار نقص طبع روحانية الانسان ، وهو اثنا عشر . ولا ختلاف العارفين في هذا العدد أفرد السؤال عنه الحكيم الترمذى ليتم له اختبار اختبار المجيب عن هذه الاسئلة ، باعطاء ما ناب أمهات المجالس وفروعها في حضراتها الخاصة بأهلها ، من قسطها المنوط بها ، ونحن وان كان لنا بفضل الله بعض الاستطلاع على كيفية استخراج مثل هذه الأعداد ، لكن لسنا من الذين دخلوها بسلام آمنين من السلب ، فلنقف عند حدنا ولا نتعداه ، حتى لا نحرم من الحظ الأوفر بين أهلها ، ولولا أن المقترح للجواب عن هذه الاسئلة شرط ترك النقل عن ابن عربي وغيره ما وسعنا الا متابعته فيما ذكره في فتوحاته ، وننقل منها ما نستعين به على الدخول لحضرات هذه المجالس ، ونجني من قطوفها الدانين ما تشتهيه أنفس المستطلعين على ثمرات المعارف التي هي أعظم الذخائر والنفائس ، على أننا لا يمكننا أن نترك حظنا هنا ، فلنقتصر الآن في الكلام على اتمام استخراج هذا العدد ، ونستودع ما أملاه علينا الوارد من حضرات هذه المجالس في جوابنا عن السؤال العاشر بحول الله . أما عدد أهلها فقد حصرهم الشيخ الأكبر في عدد أهل بدر أهل الحديث ، منهم أربعون نفسا بين ذكور واناث ، وما بقي منهم فلهم مجالس الشهود من غير حديث . وهناك سبعة زائدة جامعة تحضر في جميع المجالس ، فيكون عدد الجميع من الحاضرين ثلاثمائة وعشرون نفسا ، وهو مجموع حمل حروف عدد أهل بدر ، والخواص منهم أثنان وثلاثون بمجموع الجمل الصغير ، والله أعلم .

فقد

فقد حدثتني الواردات بما جرى وقالت تقدم واترك العقل من ورا
وخذ من يدى ساقيك أكؤس خمرة بها الساق بالساق التوت كيفما جرى
ولم يبد عذرا عند خلع عذاره وفي حقه كل اعتذار تعذرا
يزيد بلوم اللائمين تهتكا ويرتاح حين اللوم وهو به انبرى
ويعجب ممن قام يطعن في الهوى ويزعم أن اللوم في الحب أثرا
لقد نصحتني الواردات فهاتها على وفق ما تهوى ودعني مخمرا
فان شئت صرفا هاتها واسقني بها وان قتلت اذ صرت عندى مخيرا
وبح بالهوى واترك مخادعة السوى ولا تك عندى في الهوى متسترا
خليلي واتركني على حالتي ولا تكن بي علي في الهوى متحسرا
وها أنا ذا ساقيك شافيك بالذى سقيتك من خمر بها انتفع الورى
وما خمرتي بنت الدوالي وانما أرى خمرتي فيها الدوا لي بلا مرا
وما كنت ممن في هواه هوى وقد غوى فغدا يمشي به متدهورا
حنانيك لا تعجل بلومك لي اذا شربت صفاء لم يكن متكدرا
فلو ذقت ما قد ذقت كنت موافقي ولم تك لي فيما سقيتك منكرا

ثم ان عدد المجالس على رأى الحكيم الترمذى مستخرج من عدد حروف مجالس أهل الحديث بالجمل الصغير، وهو ما انحصر في جملة ثمانية وأربعين، باعتبار عدد السين ستة، بتنزلها من رتبة العشرات الى الآحاد على نظر المشارقة الذين هم أهل الأنوار، واذا أسقطت منه العدد الطبيعي الذى هو الاثني عشر المتحصلة من مجموع الثمانية والأربعين، باضافة الثمانية الى الأربعة، كان العدد الباقي ستة وثلاثين، وهو المحصل من عدد حروف مقام أهل المجالس بالجمل أيضا في نظر المغاربة، وهم أهل الأسرار، واذا أسقطت عدد أهل المجالس المتحصل بالجمل الكبير في نظر أهل الأسرار، من متحصل عدد أهل الحديث عندهم، كان الباقي موافقا لعدد المجالس الخاصة الذى هو الثمانية والأربعون، وهي أمهات المجاليس، وكلها لا تخرج عن ست حضرات لأهل الحديث وأهل الشهود، وتفصيل ذلك يؤدى تطويل، وعليك بالفتوحات ان أردت زيادة بسط، ففيها شفاء الغليل، والله الموفق.

السؤال التاسع

بأى

بأى شيء استحقوا على ربهم سبحانه، ومعلوم أنه لا يجب على الله شيء، ولكن هذا السؤال له التفات الى مسألة كلامية غامضة وهي : هل العلم تابع للمعلوم، أو المعلوم تابع للعلم؟

الجواب: قد استلفت السائل في هذا السؤال نظر المجيب الى مسألة العلم، هل تابع للمعلوم، أو المعلوم تابع للعلم، وهي مسألة غامضة في نظره، فلنرفع الحجاب عنها قبل الخوض فيما نحن بصدده من الجواب، لينكشف الغموض في هذا المقام، فقد وقع فيها خوض كبير بين الصوفية وغيرهم. وأول من تكلم فيها الشيخ الأكبر في فتوحاته فقال: ان المعلومات الحق أعطته العلم من نفسها، وقد قام بالنكير عليه جماعة من العارفين، وفي مقدمتهم العارف الجيلي في كتابه (الانسان الكامل) ولما وقف على نكيره سميه شيخنا العلامة الرئيس، سيدى الحاج عبد الكريم بنيس، أبقى الله حرمته، صوب اليه سهم الانتقاد لانتقاده في هذه المسألة على الشيخ الأكبر، لكون الحق فيها من الفتوحات التي لاحت أنوارها في أفق المعارف، وبينما هو مصمم على الانكار على سميه المذكور، اذ رأى رؤيا شبه واقعة، اجتمع فيها بالشيخ الأكبر – قدس سره – في غرفة عالية، فصار يتفاوض معه في هذه المسألة أو نحوها من العلم اللدني، اذ سمع وجبة صاعدة مع الدرج الموصلة للغرفة التي هو فيها مع الشيخ الأكبر، فاستحضر أن صاحبها هو الشيخ الجيلي جاء وفي يده حجارة بقصد أن يرمي بها شيخنا المذكور لاعتراضه عليه بحضرة الشيخ المذكور، فاستجار منه شيخنا بالشيخ الأكبر، فصار الشيخ الأكبر، مشيرا للشيخ الجيلي بالكف عنه، وكان الشيخ الأكبر يستحسن نظر شيخنا في انكاره على من أنكر عليه، فاستيقظ مسرورا برؤياه :

هذى العوالم وفق العلم قد ظهرت ... وصحة العلم في أعيانها انتشرت
هذا بهذا يرى بالعين مرتبطا ... وعين هذا بعين ذاك قد نظرت
ولا يهمك كونها لعالمها ... معلومة فيهي بالأشخاص ما نظرت
وانما العلم أحصاها فأظهرها ... من كان يعلمها ونفسها كبرت
لكن لك الحق في ارتباط عالمها ... بحبل علم به أعلامنا انتصرت
وان تحققت أن العلم مظهره الـ ... ـكمال أعطاك علما شمسه ازدهرت
ولا كمال سوى بالعلم فهي على ... ما يقتضيه الكمال كلها ظهرت

هذى

هذى الحقيقة أبديها لسائلها ... وربما نفسه من وصفها نفرت

فالذى استحقت به سائر العوالم ما هي عليه من ظهور وخفاء كون حقائقها تطلب ذلك من الحق، فكانت للعلم، والعلم اقتضاه الكمال الذاتي، وهل هو مقارن لها، والحديث لا يقارن القديم، أو طارئ عليها، والمعلوم يقضي بتعقله قبل العلم، أو العلم قبلها، لا محذور في المقارنة مع اضمحلال أعيانها، وليس هناك الا الحق وحده بالذات، ويتجلى هذا الاشكال بتعقل معنى الأحدية بتجرد الذات عن سائر مظاهر التجلي، وتعالى عن كل نقص يلوح من خلل قصور العبارة، أو ما تؤدى اليه الاشارة. واذا كان الحق أوجب على نفسه شيئا، فنحن في بساط الأدب نقول: قد أوجبه، مع خفض الصوت في خشية تامة من الوقوع أولا في عدم القيام بحق الواجب، ومن الوقوع ثانيا في الزامه بالوفاء به، وانجازه للوعد أو الوعيد. فالمقام حينئذ مقام حيرة فر المعتزلة من الوقوع فيها بما نفوه عن الحق، فوقعوا فيما وقعت فيه بعض الصوفية الذين وصفوا بالتنطع، ونحن برآء مما يخالف أهل السنة في أصول العقائد، فلنقف في هذا المقام مطأطئ الرؤوس أمام العارفين الذين خاضوا في هذه المسألة بالتسليم لهم من غير انكار، مع تمسكنا بحبل مذهبنا، وربما دعتني الواردات الى أن أقول مثل هذه الأبيات:

أنا قد كنت معدوما ... ولكن كنت معلوما

وقد أصبحت موجودا ... بوصف الوجد موسوما

ولولا أنني عبد ... بحق ليس موهوما

بنفسي صرت مهتما ... وقلبي صار مهموما

لقلت الكون من كوني ... ومني صار مقسوما

وذى دعوى لذى نفس ... حكت من جهله البوسا

فلا تحفل بدعواها ... وما أحجوك معصوما

رداء الكبر واتاها ... ولم تجعله مخروما

فقامت تدعي ملكا ... عظيما ليس معدوما

وذو الدعوى بلا شك ... يرى في الناس مرجوما

فلا تجعل مع المولى ... شريكا منك مذموما

تعالى الله عن جهل ... به قد صرت منقوما

فان

فان الحق حق ما   يرى في الخلق مهضوما
له علم وكل الخلـــق فيه كان معلوما
فلا تجعله محصورا   ولا تجعله مرقوما

فأقــول :

كيف يعطي المعلوم للحق علما   وجميع المعلوم بالحق تما
غير أن المعلوم بالعلم مربو   ط بعقل وشخصه ليس ثما
ليت شعرى وليس للعلم حد   هل بغير المعلوم علما يسمى
ليس ينفك في التعقل معلو   م عن العلم عند من نال فهما
ولدينا للعلم هيمنة كبــــرى لذات العلي بوصف وأسما
بل غني بالذات لا بسواها   ولهذا كماله كان أسمى
فهو بالذات في علاه تجلى   في كمال فخص منه وعما
واذا ما اقتضى الكمال الحقيقي   كونه فهو عن ذوى الجهل غما
فدع الجهل واطلب العلم منه   ان ذا الجهل فيه لازال أعمى

فاتضح لديك أن أهل المجالس مثل غيرهم في استحقاق ما دعته حقائقهم في أصل الفطرة بمقتضى تخصيهم بما نالوه ، وينالونه في الأزل ، وما ثم الا الحق في اجمال التفصيل ، وتفصيل الجمل ، وفي هذا كفاية لمن عقل والله يقول الحق وهو يهدى السبيل .

السؤال العاشر

ما حديث أهل هذه المجالس وما نجواهم ؟

الجواب اعلم أولا أن هذا السؤال هو الذى جعله الحكيم ثامنا في أسئلته ، وجعله المقترح هنا عاشرا ، والثامن دائما له مرتبة الاول في درجات الأعداد وأسرارها ، فهو مرتبط به باستعداد خاص ، لأن العدد في ملحظ ذوى المعرفة تمامه في السبعة ، فلذلك يجاء بواو الثمانية مثل قوله تعالى (وفتحت أبوابها) اشارة الى أن الأبواب ثمانية . وقوله (وثامنهم كلبهم) فكان للكلب استعداد خاص ، حتى عد من أول الفائزين ، فلذلك وردأنه يدخل للجنة ، فابقاء السؤال في درجته ومحله أولى من جعله عاشرا ، وان كانت رتبة العاشر له مرتبة الأول في الدور الفلكي ، ولكن للثمانية أسرار عالية ، تكلم عليها علماء سر الحرف ، فلا نطيل به . وأما حديث أهل هذه المجالس ونجواهم فهو

في

في سائر لحظاتهم التفكر في المصنوعات، وعجائب المخلوقات، واستفادتهم منها ما لم يستفده غيرهم، فالأكوان كلها رسائل من الحق الى خاصته يجلسون لمطالعتها ، ، ، فيناجون الحق بها ، ويقفون بها على المقصود منها ، فينهضون لأداء ما يقتضيه الوارد ، ليتم لهم بذلك شهود ما وراء حجاب عالم الحس، والى ذلك الاشارة بقول القائل :

تأمل سطور الكائنات فانها   من الملأ الأعلى أتتك رسائل

ولا يزالون مطالعين لتلك الرسائل فيما بينهم، وحديثهم في الكأس وساقيها ، عاملين على قول قائلهم :

واذا جلت الى المدام وشربها   فاجعل حديثك كله في الكاس

والكأس هي المكونات، وساقيها هو مكونها ، لأنه لا يتم السرور الا به ، وفي هذا المقام أنشدوا :

نحن في مجلس السرور ولكن   ليس الا بكم يتم السرور

فترى الواحد منهم منفردا وهو في مجلسه قد جمع عليه جموعا شتى قد التفت من حوله ، وإذ وردت على قلبه في نفسه ، من عالمي معناه وحسه وحسه يناغي بلسان المعرفة كله وجزءه ، على قدر ما فتح به عليه ، فتارة يترجم حاله عن مقامه ، ولسان حاله أنطق من لسان مقاله :

فان الحال ينتج منه حالا   لرائيه فيضحى رهن حال

يرى من نفسه عجبا فيغدو   بذكر الله من غير انتحال

وتارة يترجم عن حديث نفسه ، بلسان حسه ، فيشير ويصرح ، ويبطل ويصحح ، ويطرب ويرقص، ويزيد وينقص، وحاصل ما يقال :

ستكفيك من ذاك الجناب اشارة   فدعه مصونا بالجمال محجبا

وان كان ولا بد من زيادة في توضيح الحديث، فلنقتصر على ما يرد علينا من بعض حضرات تلك المجالس، وهي ست حضرات جامعة لأمهات المجالس عند الشيخ الأكبر ، فقد أملى علي الوارد من مجلس الراحات من الحضرة الأولى :

أصحد شي كن للحديث معيدا   واجعله انشاء لنا ونشيدا

كرر على سمعي الذى قد قلت لي   فلذى قولك لا يزال مفيدا

وأنا بطيء الفهم ليس يهمني   في سمع صوتك أن أكون بليدا

وأراك

وأراك ترفق بي فزد في راحتي ... لأرى من الخيرات منك مزيدا
طاوعت فيك هواى حتى صرت لا ... ألوى لغير صار عنك طريدا
فبحق حبك اذ مددت حباله ... لي بالمودة منذ كنت وليدا
كن لي فكلي فيك أصبح فانيا ... وفناء نفسي عشت فيه وحيدا
عجبا عشقتك قبل رؤيتك التي ... ما زلت أطلبها بشوق زيدا
أبغي لقاءك قبل موتي كي أرى ... بين العباد بما لقيت سعيدا
أهواك حتى طرت من فرط الهوى ... فوق الهوا وسقطت فيك عميدا
وغدا النسيم محدثا لي بالذى ... أبغي ومنك أتى الي بريدا
بيني وبينك لا يزال مخبرا ... عني وعنك وللهموم مبيدا
وأسر لي ما سرني لما سرى ... سرا حديثا فيك كان سديدا
وأجابه مني لسان الحال عن ... حال به عني مقامي زميدا
ودفعت قلبي في يديه فها أنا ... ذا دون قلب مات فيك شهيدا
ووجدت في تسليم نفسي راحتي ... في راحتك ويوم عودك عيدا
فامنن علي بعودة لمودتي ... لأكون حقا حامدا وحميدا
ولقد كفاني أن تحدثني على ... بعد ولست أراك فيه بعيدا

وقلنا في مجلس الجمع من الحضرة :

اني اليك مريد ... وأخو الملام مريد
من عاذرى من عاذل ... حالي عليه شديد
فأطال في لومي وهل ... لومي لدى يفيد
الشوق عندى حاضر ... والصبر عنك بعيد
أحبيب قلبي انني ... بالحب فيك عميد
في الجسم مني قد تخلل ... دائما ويزيد
شاهدت مرآة الصفا ... والعقل ليس يميد
فرأيت حسنك ظاهرا ... فيها وأنت وحيد
فيها أنا بل أنت فيها ... لا أراك تبيد
وأنا وأنت ولا اتحا ... د وكيف عنك تحيد
وعرفت أني أنت لا ... أني أنا الصنديد

فجمعت

فجمعت ما أبغيه منك لديك وهو سديد
فأنا وأنت كما تريد حقيقة وأريد
ما ثم غيرك لا ولا غيري وأنت شهيد
قل للعذول لينتهي ان العذول طريد

وقلت من هذه الحضرة أيضا :

أنا ما زلت في لبس جديد بلا لبس ولا جهد جهيد
فصرت على الوجود أتيه فخرا بما أحرزته بين العبيد
أتيه وكيف لا وأنا حبيبي حباني بالمراد وبالمزيد
وأعطى كل خلقه في مجال لم يكن لسوى المجيد
تعالى الله عن كل اتحاد وجل عن الحلول مع النديد
أنزهه وعن تنزيه نفسي أنزهه بارغام العنيد

وقلت في مجلس الفصل من الحضرات الست :

أيفصل عاذلي بيني وبينك وفيك أقر عيني وعينك
يراك وصلتني فجمعت شملي وشتت شمله اذ رام بينك
فلم يدرك مناه وقد بلغنا منى نفس ترى بالعين عينك
بلى قد صرت عيني دون شك وما عندي حلول شان زينك
أمحبوبي بحقك دم محبي ولا تدع السوى بيني وبينك
وسامحني فقد أديت ديني وما أديت حتى الآن دينك
متى تقضيه لي وتقول اني كشفت عيني عنك عينك

ولو اشتغلنا بكتب ما يرد في هذه الحضرات لطال بنا المقام هنا عن تتبع الاسئلة ، وخرج بنا الحال من باب المقصود الى فسيح المجال ، وربك الفتاح العليم .

السؤال الحادي عشر

بأي شيء يفتتحون المناجاة ؟

الجواب : ان افتتاح المناجاة يكون بحسب موطنها ، وهي على أنواع : مناجاة العبد لربه ، ومناجاة الرب لعبده ، ومناجاة الشخص للرسول ، ومناجاة الرسول له ، ومناجاة الشخص لجنسه ولغير جنسه ، ومناجاتهم له ، وغير ذلك من الأنواع ، ولكل نوع حال ، ولكل مقام

مقال

مقال ،وحيث كان المقام مقام تعرف بالحق في باب المعرفة بالله ،وأصحاب هذه المجالس من أهلها فلا نخرج عما يليق بجنابهم ،فانهم يفتتحون المناجاة بالحمد لله ويدعواهم سبحانك اللهم . ولقد انفسح للمصلي مجال المناجاة مع الحق في كل يوم في الصلوات الخمس سبع عشرة مرة ،وباعتبار الشفع والوتر والفجر اثنين وعشرين مرة ،ويلاحظ في ذلك عددما زاده المصلي من النوافل ،فالصلاة موطن المناجاة ،وبقدر ما ناجاه فيها يشاهده في عرصات الجنات ،فهنيئا لمن أكثر منها :

ان الصلاة محل للمناجاة وهي المنى عند أصحاب السعادات
قم باعتناء اليها واسع في أدب حيننا لها وأقمها في عنايات
تلف الأماني من قبل المنون بها من فضل ربك مع كمال مرضاة

وقد اختلفت المشارب والأذواق في حضرات المناجاة ،ونحن نثبت ما أملاه علينا الوارد في هذا المحل لنستوفي المقام حقه ،فمن ذلك قولنا :

يا طالبي الحاجات بين العبا د عاملوا المخلوق بالشفقه
يرحمكم الرحمن وهو الذى يرحم من يرحم ما خلقه
ولتقتدوا بالمصطفى في الذى عمله واتبعوا طرقه
وفي المناجاة له قدموا بين يدى نجواكم صدقه
تنجح لكم حاجاتكم دائما بضامن الحق لمن صدقه

وقلنا من مشرب آخر من هذا الباب :

أبنفسي لنفسي قد تصدقت بالنفس وأنفس ما عندى نفيسا أرى نفسي
أتيه على غيرى بها بعد غيرتي عليها وأحميها من الجن والانس
على أنني قد بعتها غير مكره لواهبها لي دون غبن ولا بخس
ومن عجب أني الى أضيفها وما هي لي ملك بيومي ولا أمسي
هي النفس ان طاوعتها طرت في الهوا بغير جناح ثم أهوى على رأسي
هي النفس تدعوني بداعية الهوى لتخرج بي من باب معناى للحس
فان لم أطعها في هواها تركتها لمالكها تختال في حضرة القدس
ولكنها استولت عليّ لحكمة بعالمها عني خفت في بني جنسي
وها أنا ذا أدعو لها بهداية ليكمل قصدى مع أمان من النكس

وفي

وفي هذا كفاية ، والا فالمحل محتاج لبسط ، في قبض وبسط ، والله الموفق .

السؤال الثاني عشر : بأى شيئ يختمونها ؟

الجواب : ختام المناجاة يكون مناسبا للافتتاح ، فقد برزت العوالم من حضرة الغيب ، واليها تعود ، كما بدأنا أول خلق نعيده ، وانا لله وانا اليه راجعون ، ولو كشف الغطاء عن الحقائق في هذه الحياة استراح الخلق ، ولكن حكمة الحق تقضي بتأخير ذلك الكشف الى يوم يكشف عن ساق ، وتكون فيه لله الحجة البالغة على حقه ، وما هذه الدنيا الا دار اكتشاف عما استودع في دهليز الغيب بتنظيم المدبر الحكيم ، فالخلق كلهم في يد القدر ، منقادون بها الى السابقة التي كانت نفس المبدأ ، وفي هذا المقام أنشدني الوارد من هذا الباب :

أنا بين بابين مكتنف	لشهب المقادير مستهدف
ومن كان تحسب أنفاسه	مدى عمره وهو مقترف
يحق له طول أيامه	من الخوف يجرى ولا يقف
ويبكي على نفسه في الذى	جنى وهو بالذنب معترف
فطول الحياة من أولها	لآخرها كلها تلف
وما هو بينهما برزخ	به الناس كلهم وقفوا
فها ذاك في غفلة ذاهب	شبيهي بالعيب متصف
وها ذاك في يقظة عارف	مثيلي الى الحق منعطف
وها ذاك عمر أوقاته	بخير وأمثاله سلفوا
وها ذاك في زعمه أنه	على الحق والغير منحرف
وهذا على فضله اتفقوا	وها ذاك في كفره اختلفوا
وهذا وهذا على نهجهم	وهذا عن الكل منصرف
وهذا الى الخير منجذب	وهذ الى الشر منعطف
وكلهم في حياتهم	لشهب الرزايا هم هدف
وآخرهم مثل أولهم	أمام الحقيقة قد شقفوا
لأهلهم رجعوا والقضا	عليهم جرى وبه هتفوا
وما فاز منهم سوى الانبيا	وتباعهم عند من عرفوا

وقلنا

وقلنا من مشرب خاص، بين الخواص، في باب المناجاة، وهو غريب الموقع :

ناجيت نفسي بنفسي في ليلة قبل أمس
وكنت وحدى ولكن قد كنت في روض أنس
فقلت يا نفس انى أراك من غير جنسي
قالت صدقت ولكن لي منك سعدى ونحسي
وأنت عيني اذا ما حققت أمرى بدرسي
فاسمع لقولي فاني سكنت حضرة قدسي
نزلت من أوج أفقي اليك من غير لبس
وقد عشقتك لكن عشقي رماني لتعس
فان سعدت فاني سعيدة دون حدس
وان شقيت فاني ظلمت نفسي بنفسي
سر بي الى خير سرب من بين جن وانس
حتى تعود لأصل قد صار عندك منسي
وعج به دون عجب لتجتني طيب عرسي
فقلت يا نفس انى قد طاب ما بك أنسي
ايه فقل لمت كفاني اياك تأمن بأسي
فأنت غر بأمرى في كل طرد وعكس
أنا التي لا أبالي في حال سكرى بنكسي
وأدعي كل دعوى برفع صوتي وهمسي
اذا خلا لي جوى عقدت تاجي برأسي
وأدعي الملك ملكي تحتي غدا كل كرسي
وما قهرت بشيء سوى دخولي لرمسي
فقلت ايه فقالت أمرى بدا مثل شمس
لولا التجلي بقهرى لبست بالتيه لبسي
وأدعي فوق هذا كل الكمال لنفسي
فقلت لا تدعيه لا زلت في الحفظ تمسي

فالختم

فالختم دائما يكون مناسبا لما وقع الافتتاح به ، ألا ترى الى الدائرة كيف اتصلت حلقاتها ، حتى انه ليشتبه البدء بالختم ، ويكون شيئا واحدا ، فالأول والآخر واحد ، وهو الظاهر والباطن ، وهو الفاتح الخاتم ، على أن الحقائق لا تتبدل في التعقل ، وما ثم الا حقيقة واحدة لمن شاهد الحق حقا ، واياك أن تدعي اتحادا أو حلولا ، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل .

السؤال الثالث عشر : بماذا يجابون ؟

الجواب : يكون جوابهم باجابتهم لما طلبوه بمقتضى (ادعوني أستجب لكم) فهو يجيبهم على وفق ما دعته حقيقتهم ، فالداعي في سائر أحواله ينزل في دعائه منزلة المتكلم بقصد وبغير قصد ، فما طلبته الحقيقة فهو المقصود ، ولا خروج عما طلبته . وأما الدعاء المخالف لما تطلبه الحقيقة فهو غير دعاء ، فيتعين للداعي اذا أراد الاجابة الحقيقية أن يدعو بلسان الحقيقة ، والا فهو مجاب بجواب مناسب لمقاله ، وقد قيل :

ان قلت قولا فكن لبيبا   فكل قول له جواب

فالجواب دائما مطابق للمناجاة يستوى فيه أهل المجالس ، غير أن أهل هذه المجالس قد تحقق بما خلقوا لأجله ، فكانت سائر حركاتهم وسكناتهم في حضرة المناجاة ، وهي فسيحة المجال ، ولهم كمال الظهور في مجالي العبادة التي خلقوا لاقامتها باستحقاق الحق في قوله (51 : 56 وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون) فالفرد الكامل من المكلفين الذين هم الثقلان يقوم بالعبادة الكاملة لاستحقاق الحق لها ، بخلاف الناقص فيجعل العبادة لغرض فيكون من باب :

صلى وصام لأمر كان يطلبه   لما قضى الأمر ما صلى ولا صاما

وكأنه لم يقصد من الخلق الا الأفراد الكاملين من المكلفين . فأل في ملحظ العارف من الجن والانس للعهد والمعهود ، الفرد الكامل ، واللام في قوله (ليعبدون) للاستحقاق . أما غير الأفراد فقد خلقوا من أجل الكمل على وفق ما يقتضيه الكمال ، ولذلك خلق الحق الخلق كلهم من أجل سيدنا ومولانا محمد عليه السلام ، لتظهر لهم كرامته ومكانته عند ربه ، وأما هو فقد خلقه من أجله ، لا لغرض في ايجاده وامداده ، الا ما اقتضاه الكمال من ايجاد مظاهر التجليات القاضية بالفضل ، والحاكمة بالعدل :

وجودنا عدم في حضرة القدم   وليس للحق في الوجود من عدم

كنا

كنا وكان ولم نكن فكان ولا | نقول ما كان ان كنا ذوى همم
فنحن كنا العبيد وهو كان لنا | مولى حقيقي له البقا مع القدم
وكان في مخدع العماء وهو على | ما كان دام وطرف الخلق عنه عمي
ولا حلول نراه في العماء ولا | عماء الا الظهور وهو فيه سمي
من ثم قال أنا من قال عنه أنا | وفي اناء أنا بقيت في العدم
فان بقيت أنا بلا أنا فأنا | أنا ولكن أنا غرقت في الكرم
فيا أنا هل عرفت من أنا فأنا | لم أدر والله من أنا بلا وصم
فلا تقل لي أنا وأنت منك أنا | ولا أنا هو منه حيث لم تهم
فكونه معنا وكوننا معه | ما كان بالشخص في نور وفي ظلم
وأنت لا أنت حتى لا أكون أنا | لكن أنا أنت لا أدوم ان يدم
والحق والحق قلت وهو عاضدني | اني تحققت منه غير منعدم
عطية الحق ليس الخلق يسلبها | عنه وهذا يرى نارا على علم

فاذا كان الباطل يجاب بالباطل ، والحق لا يجيب به ، فأين مطابقة النجوى اذ الم يتحقق لك أن الباطل في الحقيقة باطل ، الا بالنسبة الينا ، أما الحقيقة في أصل فطرتها ، ولا فطرة لها الا بالحق ، فانها حق غير باطل ، لكونها قائمة بالحق ، الا ما كان من الشريك مع الحق ، فلا حقيقة له يظهر فيها ، وهي باطلة عندنا فلا وجود لها ، حتى يرجع اليها البتة . وجواب الحق في حق المشركين وشركائهم تكون مطابقته على وفق ما اعتقدوه ، زيادة في التنكيل بهم ، فمناجاتهم تنقطع بقوله (23 : 109 اخسئوا فيها ولا تكلمون) سائلا من الحق تعالى أن يحفظ علينا ايماننا ، ويؤمن خوفنا ، انه على ذلك قدير .

السؤال الرابع عشر

كيف يكون صفة سيرهم الى هذه المجالس والحديث ؟

الجواب : اعلم أولا أن القوم السائرين على أقسام بحسب ادراكاتهم من عالم الحس ، وعالم المعنى ، وتفصيل ذلك يطول ، غير أننا نختصر القول في بعض الأقسام منهم ، وربما اندمج البعض مع البعض في التفرقة بينهم في سيرهم الروحي الذى لا يحتاج فيه الى قطع مسافات بالسير في الارض ، فهم في الظاهر غير سائرين ، وعوالمهم الباطنة مجدة في السير ،

فهم على حد مجرى قول الحق (27 : 90 وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب) ومن هذا الباب قول الشاعر :

فسيرك ياهذا كسير سفينة　　　بقوم جلوس والقلوع تطير

ويحصل بالسير في الارض ما تتقوى به روحانية السائر، فينال حظا وافرا أكثر مما يحصل للمتقاعد عن الجولان في الارض، ولذلك شرع السير لأداء بعض العبادات، كالسفر للحج، والذهاب للمساجد، وشد الرحلة للمساجد الثلاثة، ولطلب العلم، ونحو ذلك، واعتبر في هذا المقام اسراء نبي الله عليه السلام من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى، فهو وان كان سيرا محسوسا، ففيه ما لا أقدر على وصفه من السير الباطني، ولحسن موقع السير الحسي في العوالم الباطنة أمر الحق سبحانه نبيه بأمر الأمة بالسير في الارض فقال تعالى (قل سيروا في الارض فانظروا) الآية، فبه يتوصل السائر الى الحق، وتعظم معرفته به، وعلى قدر المعرفة يتقرب العبد من ربه، ويدنو الحق منه دنو مكانة، لا مكان. ومما بلغنا عن نبي الله عيسى عليه السلام أنه كان يقول (انما هذه الدنيا معبرة، فاعبروها ولا تعمروها) فعمل على ذلك من قصدوا الترقي في مدارج الوصول للعوالم العلوية، بالاستطلاع على ما شاهدوه في الارض، وما تزينت به من سائر الجهات من فوق وتحت، ونحو ذلك. فمن السائرين من اكتسب الوصول للحق بهذا السير الظاهري الذي ملأ خزائن مخيلته بما شاهده من عجائب المخلوقات التي وقفت به أمام مدبرها الحكيم، من غير أن يقيض له مرشدا غيرها، أو قيضه له، فعمل ذلك بارشاداته، أو لم يعمل، ولكن تقوت عليه الروحانية المتخيلة من عالم الحس بالتفكر فيها، فنزلت على قلبه سكينة الاطمئنان، بتصديق من صدحوا بالحق بين الخلق. فتحقق بأن المصنوعات لابد لها من مدبر، وهو صانعها

وفي كل شيئ له آية　　　تدل على أنه الواحد

والغالب أن العوالم العلوية تمده في معلوماته، فتكون له معينة على الوصول لحضرة الحق في سيره الباطني، فأحرى اذا كان هذا السير مصحوبا مع ايمان بوجود الحق، سيما اذا أضيف اليه معه التوحيد بغير دليل، فضلا عما اذا صاحبه دليل اجمالي، فأحرى مع التفصيلي. فهذا التقسيم شامل لجماعة من السائرين، فمنهم من لا ايمان له، حتى اكتسبه بهذا السير، ومنهم من معه ايمان فزاده تمكنا في المعرفة، ولا يزال يرتقي

به

به في المحسوسات والمتخيلات، حتى يخرج من عالم التقييد الى عالم الاطلاق ، ومن عالم الحس الى عالم المعنى، فيرى عن مشاهدة ما يستحقه الحق من التنزيه عما يتخيله فيه، فيعطيه حقه من التوحيد . وكذلك يكون السير في حق من معه من أول وهلة ايمان وتوحيد، غير أن هذا يكون سيره أسرع على قدر ما لديه من التمكن في الاعتقاد، فلربما سبق من عنده علم بالاستدلال ، لكونه لا يمكن له تزلزل عن الاعتقادات التي عقدها فيه ، ولذلك تمنى أكابر أهل الاستدلال من الأعلام ايمان العجائز . وأسرع الناس سيرا من توفر فيه الايمان والعلم ، وسيره على قدر حاله من الحظ فيهما من تمكن اعتقاد وسلامة ادراك في مواقع الاستدلال . والمراد بالايمان هنا تمكن الاعتقاد في الحق تمكنا لا يمكن خروجه من مخيلة صاحبه الا بالزيادة في المعرفة به من غير تزلزل ، فان الحق يجبر كسر قلبه بالهام من قصده من باب هذا الطريق ، فيفتح له باب المعرفة الحقيقية به ، ولذلك قيل بنجاة المؤمنين مطلقا ، غير أن في الايمان المعتبر عند ذوى الحق ما كان مربوطا بحبل التوحيد ، وهذا هو السر في الأمر بالايمان لمن آمن ، قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا آمنوا) ولا يتوقف في الايمان التوحيدى على علم استدلالي الا على وجه الكمال ، كما قلناه ، ونقول : ان سير المؤمن أسرع من سير العالم ، لأن الاول سيره بلا واسطة ، لأن ايمانه لا يدله الا على الله ، بخلاف صاحب العلم لا يدله علمه الا على الوسائط ، وان كانت هذه الوسائط توصله اليه ، ولا تدله الا عليه ، ولكن قد تحبسه في النظر فيها في طريق سيره مرة ، وهذا هو السر في قوله عليه السلام : أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا : لا اله الا الله ، ولم يقل : حتى يتعلموا العلم الموصل الى الله ، مع أن القوم الذين دعاهم لقول (لا اله الا الله) في زمانه عليه السلام كانوا في جاهليتهم وأهل اشراك ، والمشرك مؤمن غير موحد ، والموحد لا بد له من أن يتم توحيده بالايمان بالرسول وما جاء به . وقد اكتفى ممن يقول (لا اله الا الله) أولا من اتمام هذه الشهادة التوحيدية بالشهادة للرسول عليه السلام ، لأن المقام مقام ايمان به ، ولولا ايمانهم به ما قالوها ، فكأنهم يقولون : صدقناك ، وها نحن نقول : لا اله الا الله ، فقبل منهم النطق بها . وأما في مقام تعليم الاسلام فلا بد من التنصيص على هذه الكلمة الثانية ، ولذلك أجاب صلى الله عليه وسلم جبريل عليه السلام لما جاء يسأله عن الاسلام فقال له : الاسلام أن تشهد أن لا اله الا الله ، وأن محمدا رسول الله ، الحديث . ودرجة

المؤمن

المؤمن الموحد الغير العارف بحق النبوة اذا لم تبلغه الدعوة نازلة عن درجة المؤمن العارف بحقها ، وهذا الأخير ، وهو المقدم على غيره في ميدان المعارف لا قتباسه من مشكاة النبوة على قسمين في السير : القسم الأول لا يتعدى طوره بتمسكه بحبل نبيه ، ولو بلغ ما بلغ في المعرفة بالله ، ولو قال له : ها أنت وربك ، فهو تحت ظل جناحه ، لا يخرج عن دائرة تعريفه بالحق ، وهذه درجة لا أعلى منها في التمكن من المدد المحمدى في العوالم العلوية والسفلية ، ولا يتخيل في كونه واسطة بين العبد وربه وجود فاصل بين الحضرتين ، لأن الوصول للحق والدنو منه متحقق بالمكانة ، لا بما لا مكان ، والنبي الذى هو الواسطة جعله الحق حجابا لطيفا بينه وبين خلقه ، حتى لا تحرقهم أنوار الحق التي لا يقدر غير النبي على تحمل تجلياتها على العبد الواصل لحضرة الحق ، وليس الوصول هنا يشخص لمكان مشخص ، فتعالى الحق عن التشخصات والتحيزات . والقسم الثاني على فرقتين : فرقة تمسكت بحبل نبيها ، حتى لاح لها الحق في نظرها بعين الحقيقة ، وقال لها مرشدها : ها أنت وربك ، فتقدمت الى الأمام في بساط التداني والتقرب الى الحق بما أرشدها اليه مما يليق بحضرته ، فقامت بحق خدمته ، على وفق ما يرضاه منها ، الا أنها بما خامرها لم تبق رابضة في كنف هذا المرشد الذى كان لها الواسطة ، ولم يروا أمامهم الا الحق ، وأزالوا من أنفسهم التعلق بسواه ، وقالوا : أنت المقصود ، فعبدوه من غير طمع في ثوابه ، ولا خوف من عقابه ، فكانوا في هذا السير معدودين من أصحاب الأحوال ، وحوله دندنت رابعة العدوية فقالت مخاطبة للحق :

كلهم يعبدون من خوف نار ... ويرون النجاة حظا جزيلا

أو بأن يسكنوا الجنان فيضحوا ... في جنان ويشربوا السلسبيلا

ليس لي في الجنان والنار رأى ... أنا لا أبتغي بحبي بديلا

وهنا جماعة من الأولياء — قدس سرهم — قائمون في هذا المقام لا يرون قدم مخلوق أمامهم ، مع شدة اتصال حبلهم بحبل محمد هم الذين هم على قدمه ، وهم المعبر عنهم بالمحمديين الذاتيين ، وأنشد قائلهم :

الله قل وذر الوجود وما حوى ... ان كنت مرتادا بلوغ كمال

فالكل دون الله ان حققته ... عدم على التفصيل والاجمال

وأما غيرهم ممن لا ينهض من حجر مرشده ، ويجعل مقصده الأتم في يده فهم الأولياء المحمديون

المحمد يون الصفاتيون . وقد اختلفت مشارب العارفين في الأفضل من الفرقتين ، والذى يقول به أهل الحق ، وتطمئن له النفس مقام من أعطى الربوبية حقها ، ولم يعرض عن الواسطة الواجب شكره لجمعه بين الشكر والصحو في حضرة واحدة ، وذلك حظ كثير من وراثة النبوة في مقام المعرفة ، باعطاء الحق حقه ، والخلق ما استحقه ، وهو المقام الأكمل ، لكونه غير مشوب بجذب فيه اصطدام واصطلام ، تعترى صاحبه أحوال ، يسلم له فيها مثل ما وقع لأم المؤمنين الصديقية رضي الله عنها فقالت : والله لا أشكر الا الله ، فهي في هذه المقالة صاحبة حال ، لم تشاهد في سيرها قدم أحد أمامها ، فيسلم لها حالها . والفرقة الثانية زاغت قلوبها ، وطاشت قبل تمكنها في هذا المقام ولم تصل اليه ، ولكن تجرأت بالقول قبل أن تذوق حلاوة القرب من الحق ، فقالت بالوصول للحق * بالاعراض عن الواسطة ، كما نقل ذلك عن بعض فلاسفة الاسلام ، وما أرى ذلك في حق بعض من نقلت عنهم الا متقولة ، أو حصلت منهم بتزندق طرأ عليهم . ومن هذا الباب ما قيل من أن بعض العارفين رأى النبي صلى الله عليه وسلم ، فسأله عن ابن سينا ، فقال : ذلك رجل أراد أن يصل الى الله بغير وساطتنا فقطعناه . وفي هذا المحل أورد علينا الوارد من خزائن التعرف هذه الأبيات فقلنا :

عجبا لمن قطعوا الطريقه ... ولنفسهم طلبوا الحقيقه
قد أعرضوا عمن عليها ... دلهم بين الخليقه
عجبا اذا انتفعوا وهم ... في الحق ما سلكوا طريقه
من قال مع هذا لهم ... نفع فلم يعرف حقيقه
لم يدر ما معنى الشريعة والحقيقة والطريقه
هل يرتجى نفع لهم ... وهم تعدوا في الحقيقه

وقلنا أيضا

عجبا لمن طلب الحقائق ... وعليه قد سد الطرائق
قد حاد عمن دله ... حقا عليها في الخلائق
عجبا له يبغي العلا ... ومنه قد قطع العلائق
كيف الوصول لما أرا ... د وعنه عاقته العوائق
الحق يأمر باتباع ... دليله وهو الموافق

من

من سار متبعا له | فلربما أمن الطوارق
والضال ان للدال لم | يتبع وعاند فهو مارق
كيف الوصول مع الهوى | ممن يسير الى الحقائق
هل يرتجي للعبد نفع | وهو من مولاه آبق

ثم ان السير بايمان دون علم ومع علم، اما أن يكون السير للحق بواسطة المخلوق، وهو أسلم للسائر في سلوك طريقه الموصلة اليه، لأنه قلما سلك أحد طريقا لا يعرفها فسلم، وقد أنشدوا :

لا تسلكن طريقا لست تعرفها | بلا دليل فتهوى في مهاويها

وهذه طريقة التشريع التي درج عليها الأنبياء عليهم السلام في ارشاد العامة، وتبعهم شيوخ التربية — قدس سرهم — في الدعاء للحق بين الخلق، الا ما كان في حق من شذ منهم ممن دخلوا من باب الجذب، أو ممن تزندق، حيث أعرض عن الواسطة من أول الأمر، أو بعد الاقتداء به ممن كان من أهل الايمان فقط، أو كان من أهل الايمان والعلم، ولكل أهل حسبما أشرنا اليه، ونزيده توضيحا بقولنا :

ان للايمان أهلا | لهم الحق تجلى
شاهدوه بقلوب | بسواه ليس تصلى
وسعته وسعت في | نيل فضل منه جل
عينها ما حجبتها | عين علم صار يملى
ان ايمانا وعلما | فاق ما عنه تخلى
فلنا الايمان بالحق | على الرحمن دلا
دل في الحين عليه | وهو ما عنه تولى
والى الواسطة العلم الحقيقي دل عقلا
لم يصل صاحبه لـ | ـه حتى يستدلا
حيث بالعلم ترقيه | محلا فمحلا
يترقى طبق الاستد | لال عقلا ثم نقلا
وأخو الايمان في الخلق | له الحق تولى
والذى الحق تولا | ه غدا للوصل أهلا

فهو

فهو لله ولي — وعلى الملك تولى
غير أن العلم والايمان — فوق الغير أعلى
فلتكن صاحب ايمان — وعلم نلت وصلا
جمعك الايمان والعلم — كمال ثم فضلا
واحذر العلم الذى ما — معه الايمان حل
فأخو العلم ولا ايمان — فيه معه ضل

واما أن يكون السير بالله لله، وأحوال هؤلاء السائرين على اختلافها لا تخرج عن كنف الحق، فهم دائما مرتقون بالاسم الجامع، فلا يدعون ألوهية البتة، فهم مبرءون من كل حال يشم منها الشرك بالله، ومن كل شريك، داخلون على الحق من باب التحصن بالله، والاستعانة بالله، فيقولون: أعوذ بالله، وباسم الله، وانا لله وانا اليه راجعون، ولهم تمكن خاص في المحبوبية، يسرى بهم الحق اليه، على قدر ما حصل لهم من وراثة التنويه بعبد الله بن عبد الله عليه السلام حيث قال في حقه تعالى (سبحان الذى أسرى بعبده) فان لبعض الأفراد المحمديين من أمته حظا وافرا من سر الاسراء الذى أكرمه الحق به، فتمت لهم به كرامتهم، وليس لهم من هذا الاسراء الا السر الذى أطلعهم عليه هذا النبي المعظم به عليه السلام، لكون نفس الاسراء على تلك الحالة المنوه بها خاصة به عليه السلام، فلا طمع فيه لغيره من الغابرين، ولو نالوا ما نالوا من الخصوصية.

وأعظم مظهر يتظاهر به السائر في هذا الموطن مظهر التحقق بالمحبوبية التي يكون فيها الحق سمعه وبصره ويده ورجله، وتعالى الله عن الجارحة، وعن الحلول والاتحاد

بالحق للحق سر في غاية الأدب — فان بالأدب السمو في الرتب
ونزه الحق عن كون أليس له — تكوينه فهو غيره بلا ريب
فان تنزهه صرت لابسا حللا — وفي رياض التداني دمت في طرب
وكنت صاحب علم غير متهم — به وفيه وفزت منه بالطلب
وقيل فيك أديب العصر مفرده — وشمس فضلك في دجاه لم تغب
واعلم بأنك بالايمان متصف — فقم بما يقتضي الايمان في النوب
ولتتخذ حلة الآداب منك له — وفيك منه وفيه منك غير أبي
فحلة الأدب ازدهت ولا بسها — بها يقدم عمن ليس ذا أدب

واما

واما أن يكون السير بالاسماء ، فصاحب هذا السير يظهر بحلة الاسم الذى تخلق به ، جماليا كان ، أو جلاليا ، وقد حبب اليه ما حبب لموروثه عليه السلام من النساء والطيب ، ومن جعل قرة عينه في الصلاة لما فيها من مناجاة الحق ، وتذكره في حضرتها لحلاوة الرجوع اليه في طلب التخفيف من فرضية الخمسين منها على أمته ، فانه فرضت عليه في مقام لم يفرض عليه وعلى أمته مثلها ، ولم يطلب التخفيف من العدد المذكور الا امتثالا لسيدنا موسى الكليم عليه السلام ، مع ما جعله سببا من موجب الرجوع لمناجاة الحق ، فقد أشفق الكليم عليه السلام من حال هذه الأمة التي تمنى أن يكون منها واحدا ، فأسدى اليها خيرا بشفقته عليها بحثه على النبي صلى الله عليه وسلم في طلب التخفيف ، فجازاه الله خيرا على ما أسداه اليهم ، وانها لكبيرة الا على الخاشعين ، وقد جمع فيها أحوال عبادة الملائكة من أقوال وأفعال ، والسير في حضرتها متيسر للقائم بها ، وأقرب ما يكون فيها العبد من ربه وهو ساجد :

كم صلات تيسرت في الصلاة وغدت دائما له واصلات
كيف لا يعتني بها أهل فتح وهي والله أشرف الحضرات
هي فيها للمصطفى قرة العين لما قد حوته من مكرمات
جمعت أحوال العبادات من قول وفعل في أحسن الحالات
كل من لم يجد بها قلبه فليبك مما قد فاته من صلات

فان حضرة الصلاة كما قلنا من أكمل الحضرات ، ولذلك تكررت في كل يوم خمس مرات استدعاء من الحق لعبده بها ، ليدخل لحضرة مناجاته ، تنبيها له بعد الغفلة ، فاذا خرجوا من هذه الحضرة لغرض يسرى تركوا قلوبهم معلقة في أستار محل اقامتها ، وداعي الشوق يهزهم الى الرجوع اليها ، فهم أشد الناس حرصا على أداء الصلاة في أول وقتها ، والاكثار من الصلاة النافلة ، وبالأخص ما شرع منها في الأوقات العمومية والخصوصية ، فلا يفوتهم شفع ووتر ، ولا فجر ، ولا ضحى ، و ركيعات يتممون بها في كل يوم خمسين ركعة ، بملاحظة ركعات الفرائض والنوافل المذكورة . ومنهم من يجعل الصلوات ذات التسليمات خمسين صلاة ، وهي التي أمر العارف بالمحافظة عليها أكثر من المحافظة على غيرها ، وصلاة الوتر من بينها واحدة ، وهي الصلاة الوسطى عند بعضهم ، وهو ختام الصلاة الليلية ، فلا صلاة بعده الا المفروضة ، وبين الوتر وصلاة الصبح برزخ لا يسد فراغه الا

ركعتا

ركعتا الفجر، وان لم يكونا فريضة، فهما غير ليليتين، فرغب فيهما لكونهما في دخول وقت الصبح كتحية المسجد في حق الداخل عليه، الا أن تحية المسجد تكون من الداخل على محل الصلاة، وتحية الفجر من وقته على المصلي، فالأولى من العبد للحق، والثانية من الحق للعبد. فابتداء وقت الصلاة من الفجر بركعتين، وهما شفع، وتمام شفع صلاة المغرب بالوتر الذى محله اثر الشفع بعد صلاة العشاء من غير فصل، فالعشاء بين وترين، فلذلك قيل: بأنها هي الصلاة الوسطى ~~xxxxxxxxxxxxx~~ أيضا عند بعضهم، والذى تطمئن اليه النفس في تعيين الصلاة الوسطى من بين الصلوات هي أنها هي الصلوات الخمس، وما زاد عليها فهو مأمور بالمحافظة عليه، غير أن الخمس صلوات اكد في المحافظة من غيرها، وأداء ما تخلد في ذمة المكلف أفضل من الاشتغال بغيرها من صلاة النفل، ومن كل عبادة دونها

هل النفل الا بعد فرض مكمل ... وما النفل قبل الفرض بالعبد أليق

أيأتي بنفل وهو عن فرضه لها ... وقتيل في المديان لا يتصدق

ومن شيمة البطال ترك الأهم مع ... عنايته بالغير والوقت ضيق

ألم يك عمر الشخص مثل سويعة ... على عجل تمضي وبالريق يشرق

فكن بأداء الفرض أحرص راغب ... بعزم قوى فيه وهو الموفق

ثم نرجع الى اتمام الجواب عن كيفية صفة السير، فنحن وصفنا لك السير وأهله. وأما الكيفية، فاما أن تكون وجدانية، واما أن تكون حالة عيانية. فالكيف في الأول من قبيل الروح لا توصف ولا تكيف الا بصفة كونها مخلوقة، مجهولة الكيف، لكونها من أمر الرب، والأمر قديم، فألبسها حلة اكتست بها حالة الخفاء في العماء الخلقي تحت ظل العماء الحقي، فهو مما وراء العقل لا تعقل حقيقتها، فالترقي بالسير للحق لا يكون لا يكون الا بها ومنها وفيها، ولا يمكن الاعراب عن تلك الكيفية الا بذوق ووجدان. وأما الكيفية العيانية فهي نفس الصفة اذا لوحظت في السائرين لا في الواصفين أو العكس، أو فيهما معا في المعقولات والمحسوسات، وفي السير لما لا يعقل، وليس السير في غير المحسوسات بقطع المسافات، وانما هو ترق في درجات المعرفة بالله على قدر الايمان، وقدر التمكن في مقامات الاحسان، والتحصيل على سر التوحيد الخاص، مع التقييد بالشرع في حق السالك. وأما المتجرد عن الشرع فلا يمكن أن يصل للمعرفة التامة التي يصل اليها المتقيد

المتقيد بحبل الوحي الحقاني، خلافا لبعض المتنطعة الذين منهم أصحاب رسائل اخوان الصفا ، وهم في الحقيقة أصحاب اخوان الكدر، وموجب غلطهم مشاهدتهم من العالم بسير أنفسهم التي تروحنت بترك المألوفات، وحبسها في قفص الخلوات ما توهموا به أنهم أهل كمال ، فحكموا بأنفسهم لأنفسهم بما حكم به الخيال في الخيال ، وتعالى الحق أن يصلوا اليه بالاعراض عما شرعه لخلقه بواسطة أنبيائه ورسله عليهم السلام ، بتفصيل واجمال

من رام دون الشرع حقا فاته وأضاع من بين الورى أوقاته
فالحق لم يدركه الا من به أدى لديه صلاته وزكاته
وغدا بمنهجه يسير مشمرا بالجد في ادراك ما قد فاته
من لم يكن متقيدا بالشرع أشمت فيه بين العالمين عداته
فاعمل على ما قد قضى الشرع الحكيم وراع في الحق المبين حماته
اياك أن يختل شرعك بالهوى ان الهوى من فيه أماته
ان الحقيقة والطريقة بالشريعة للذى بالنور عمر ذاته
لا تغترر بالمعرضين عن الشريعة فالمغرور بهم أضاع حياته

وفي هذا كفاية في الارشاد لطالبه ، مع اختصار في الجواب ، والله الموفق .

السؤال الخامس عشر : من استحق أن يكون خاتم الأولياء ؟

الجواب : اعلم أولا أنه لم يستحق أحد شيئا على الله ، الا أن كماله اقتضى مظاهر فضل ، ومظاهر عدل ، فسبقت رحمته غضبه ، وخص بها وعم ، فوعده بالفضل لعبده المطيع استحق به هذا العبد ما وعده به من غير ايجابه عليه ، ولا ينبغي للعبد أن يتجرأ بالادعاء الاستحقاق بما وعد به المطيع ، لأنه ربما يكون في غلط فيما نسبه لنفسه التي نزلها منزلة المطيع الموعود ، فهو غير مستحق في الحقيقة ، فيتعرض بجرأته للوم بادخاله نفسه في زمرة من ليس هو منهم ، ويكون بسوء أدبه واقعا فيما وقع فيه اللعين حين أدخل مع المأمورين بالسجود نفسه فطرد ، فاذا اطلع على استحقاقه فله أن يحاكم من منعه حقه الذى استحقه ، ولا سبيل الى الاطلاع على الحقيقة الطالبة من نفسها لنفسها ما كتب لها من الرحمة الخاصة التي يعبر عنها بالرحمة المقيدة ، ولا تقييد على الحق الا ما نعتبره تقييدا من جهتنا من غير اطلاع على ما في نفس الأمر ، وان كان

الامر

الأمر لا مرية فيه ظاهرا بما أمر به المؤ من من تصديق المخبر المعصوم ،ولا يعد مؤ منا الا بالتصميم على صحة ما أخبر به على لسانه من الوعد،وكذلك الحال في الوعيد،الا أن الوعيد لا يقضي على الموعد انجازه ،وقد يعد اخلافه كمالا ،كما في نظر العربي القائل :

وانى اذا أوعدته أو وعدته لمخلف ايعادى ومنجز موعدى

الا أن العدل يقضي بنفوذه فيمن خالف الحق أو عاند فيه،ان كانت الحقيقة مطابقة لما في الظاهر،ولذلك يقال في حق العاصي: انه موكول للمشيئة ،ونجزم بنفوذ الكافر اذا مات على كفره ،فموته على الكفر عنوان على كون ذلك مطلوب نفسه من نفسه . فاستحقاق العبد للنعيم أو العذاب انما هو من غيب الفضل والعدل المسدود في وجه كل من أراد أن ينظر وجه الحقيقة المسدول عليها الحجاب بعد ما جرى القضاء الجارى في أم الكتاب

عنا الحقيقة غيبت لنكون منا في حذر
نحن الذين لنفسنا نقضي بخير أو بشر
لو لم نكن نقضي به لم يمضه فينا القدر
الحق أنفذ أمره فينا فكان كما أمر
من يدعي ما يدعي منا أراه على خطر
لولا الكمال المقتضي فضلا بسر ما ظهر
لا يستحق العبد الا ما اقتضاه بلا نظر
ان الحقيقة سرها عن سائر الخلق استتر

واعلم ثانيا أن المستحق للختم رتبة الكلام فيه متأخرة عن الكلام في معنى الختم ،وسببه حسب الترتيب الطبيعي،وقد أخرنا بسطه الى ما سيأتي تبعا لما رتبه السائل وقصده في أسئلته ،وقد أفاض الشيخ الأكبر القول في الجواب عن هذا السؤال ببيان الختم،ولم يتكلم على من استحقه في جوابه عنه ،ونحن نقول :المراد بالمستحق من يحل في مقام الختمية ،وهو الرجل الكامل في المعرفة بالله ،العامل بالعبادة على مقتضى العبودية ، حتى تمكن في مقام وراثة النبي الذى هو على قدمه تمكنا خاصا ،بمقام خاص،يسمى بمقام الختم،كل من حل فيه ممن اتصف بما ذكر صار ختما ،ولا يكون الا رجلا ،ولا يكون الختم امرأة ،ولو بلغت في المعرفة بالله ،لمزاحمة الرجل العارف،فان الرجال قوامون

على

على النساء ، وللرجال عليهن درجة :

مقام الختم في أهل الولايه مقام في العلا بلغ النهايه
اذا وصل الولي اليه أضحى محوطا بالعناية والرعايه
وكان له من الأسرار سر سرى بين النبوة والولايه
له من ذى النبوة حظ ارث كبير قد تحقق بالهدايه
فمن ظفرت يداه به بعصر غدا ختما وفي هذا كفايه

السؤال السادس عشر

بأى صفة يكون ذلك المستحق لذلك النعت ؟

الجواب : تكون صفة هذا المستحق التخلق بأخلاق الحق مع الحق ، وبمكارم الأخلاق مع الخلق ، فيعطي الحق حقه ، وللمخلوق منه ما استحقه ، على قدر ما لديه من حظ وراثة النبي الذى قدمه على قدمه ، وهو في الظهور والخفاء على قدر ما تظاهر به بين أهل عصره ، كما كان عليه موروثه في عصره ، وقد يجتمع ختمان وثلاثة فأكثر في العصر الواحد ، كما اجتمعت بعض الأنبياء في عصرهم ، لكن كل ختم على قدم ، ولا يمكن تعدد الأختام ، وهم على قدم واحد ، ولا يجتمع مع الختم المحمدى ممن على قدم أنبياء متعددين في عصره الا الختم العيساوى الذى هو على قدم سيدنا عيسى عليه السلام ، فقد يجمعهما عصر واحد ، وقد يجتمع العيساوى مع اليحياوى أو الموساوى ، وهم مع غيرهم ، ولا يجمع العصر من كان موسويا مثلا مع المحمدى ، فالمحمدى منفرد في عصره ، وقد ينفرد العيساوى أيضا ويجتمع المحمدى معه أيضا ، ويكون الحكم للسابق في الوراثة ، الا الختم المحمدى فالحكم له ، وان تأخرت وراثته ، فتارة يكون الختم موسويا ، ثم يرث الختم العيساوى المتوفى ولي بعده ، فيكون هذا الثاني تحت حكم الموساوى ، وقد يكون الختم عيساويا ، ثم يرث الختم الموساوى المتوفى ولي بعده ، فيتظاهر بصفة الختم الموساوى ، فيكون هذا تحت حكم العيساوى ، وهكذا الشأن مع غيرهما ، فالسابق في الوراثة مقدم على غيره الا الختم المحمدى اذا ورثه من بعده ، فيكون له الحكم على من عاصره ممن لهم الختم بوراثة الأنبياء السابقين ، حتى يظهر عيسى عليه السلام بالذات ، فتنقطع سلسلة الأختام ، وبه يتم الختام ، فلا ولي بعده

السؤال السابع عشر : ما سبب الختم ومعناه ؟

الجواب

الجواب: سبب الختم وجود الولاية في أهلها، وحصول أول قدم منها لأول ولي، فاقتضى مظهر البدء مظهر الختم، فالولاية كالدائرة أولها آخرها اذا اتصل طرفاها اتصالا بغير تمييز، وفي هذا المقام تتضح مسألة الدور، وتصح على حد قول من قال:

مسألة الدور جرت — بيني وبين من أحب
لولا مشيبي ما جفت — لولا جفاها لم أشب

وذلك من سر البدء في الختم، وسر الختم في البدء، وسر النشء بينهما من سائر أفراد العالم من بسائط ومركبات، وجواهر وأعراض، وتعالى من لا بدء له ولا نهاية، فان كماله اقتضى ابداء خلقه على وفق المشيئة واعادتهم كما وعد الحق بذلك بقوله (21 : 103 كما بدأنا أول خلق نعيده) وهناك أسباب أخر في الختم بمقتضى التجليات من حضرات الأسماء

وللأسماء أسرار — لها قد جل مقدار
فلولاها لما بانت — بهذا الكون أنوار

فاختلفت مشارب الأختام بتنوع الشؤون في العوالم الظاهرة والباطنة وفق ابداع الحكيم في الابداء والاعادة، وما بينهما من طور النشء المنوط بجميع الخلق

فللخلق أطوار قضتها لنفسها — حقيقتها من نفسها قبل كونها
على وفق ما في العلم من سر حكمة — جرت وعلى الاعلام تقضي بصونها

أما معنى الختم، فهو مرتبة تقضي بتسمية من حل فيها ختما كما ذكرنا، فلذلك يكون واحدا، ويكون متعددا في العصر الواحد، حسبما لأولياء العصر من سر وراثة النبوة، وليس معناه أن لا ولي بعده الا ما كان من خاتم الولاية المطلقة، فهو واحد خاص، وهو عيسى عليه السلام، ومثله المهدى المعروف بالمنتظر، وهو غير ما تنتظره الامامية من الشيعة، لكون المهدوية متحققة في أفراد كل من حل في مرتبتها يسمى بالمهدى. وقد احتمع كثير من العارفين به في أزمنتهم، واستفادوا منه، وقد اجتمع الشيخ الأكبر بالمهدى وهو أحد المهديين، وفي المنتظر مع عيسى عليه السلام ألف كتابه (عنقاء مغرب في ختم الولاية) ورمز عليهما معا، وقد فككنا ذلك الرمز بحمد الله، فكان على وفق ما قررناه، فليس بعدهما من الأولياء المحمديين ختم، ولا بعد عيسى من ولي، لأنه هو خاتم الولاية التامة، ولم يبق الا خاتم الأولاد، وهو آخر ما يوجد من نوع الانسان، فانه

يولد

يولد مع أخته في بطن واحد ، رأسه متصل برجليها ، ولا ولد بعده يولد ، فيختم الله به النوع الانساني ، وبه انقضاء النسل ، وفي عصره تقوم الساعة ، وقد أشار له الشيخ الأكبر في كتابه (الفصوص) وقد تحققت الختمية الكبرى في شيخنا المحمدى القطب أبي العباس التجاني رضي الله عنه بكمال الظهور ، فلا ختم بعده يظهر في مظهره مدى الدهور ، لا بمعنى أنه لا ختم بعده ، أو لا ولي بعده ، وقد فصلنا لك هذا لتكون على علم في معرفة ما ادعاه الاولياء ، أو ما ادعاه لهم من عرفهم وغرف من أسرارهم :

ففي التسليم سلم دون حرب ... وفي الانكار حرب دون سلم
فما بالأولياء يليق الا اعتقاد سالم من كل صرم
فهم أهل الحقيقة دون شك ... حباهم ربهم فيها بفهم
وهم في الخلق أهل الحق حقا ... وأهل الحق حازوا خير حكم
وما عاداهم الا ظلوم ... ولم ينكر عليهم غير فدم
وهل في أهل حق من نكير ... يليق بمن لديه صحيح علم
فسالمهم ودع عنك التغالي ... من الطرفين من مدح وذم
الا أن اعتقاد الخير فيهم ... يبصر واعتقاد الشر يعمي

والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم .

السؤال الثامن عشر : كم مجالس ملك الملك ؟

الجواب : ان هذه المجالس لا يعلم عددها أحد ، ولا تحصر بحد في نظر العارفين ، فهي باعتبار ما عند الحق لا يعلمها الا هو ، وباعتبار ما تقتضيه غاية معرفة الخلق ، فان لكل مخلوق من خالقه في الايجاد والامداد الدنيوي والأخروي تجليات على قدر ما لذلك المخلوق كيفما كان ، مما دخل تحت حيطة العلم ، ويطلق عليه معلوم من الذوات والأحوال فتلك التجليات هي مجالس من مالكها تعطي حكما منها لها بتوجه ارادته في الايجاد والاعدام ، طبق ما هو مراد له من سائر المخلوقات بمقتضى (انما أمرنا لشيء اذا أردناه أن نقول له كن فيكون) فقد اقتضت الحكمة عند مجلس خاص بالملك في الأمر بما أراد ، فاعتبر العارفون للملك في ابرام أوامره واصدارها على وفق ما أراده مجالس ملك الملك في تنفيذ مشيئته بكلمة التكوين عند كل شيء أراده ، ومعلوماته غير محصورة ، فالمجالس على هذا لا تحصر بعدد ، وهو عالم بما قضاه لها لانكشاف حقائقها انكشافا لائقا بحضرته

من

من غير اشراك غيره ، وهو مانح الحقائق بانكشافها ، فرأت نفسها وفق ما كانت عليه ، ولا يزال يتجدد لها العلم بما تكون عليه بما يبديه لها من الشؤون في تنزلاته الوهبية ، في حضراته الغيبية ، ومن نفسك تحكم على كون التجليات عليك غير منحصرة في عدد ، فوحدة كل تجل خاصة بمجلس من أحوالك النفسية في كونك في حقيقتك قبل ظهور العالم ، وبعد وجود آدم ، وايداع نفسك فيه ، وتقلبك في أصلاب أصلك من نسله ، وأطوار تكوناتك من لدن ذلك الحين ، ولا حين مع الحق ووجوده معك ، وهلم جرا الى ايداعك في بطن أمك نطفة ، الى خروجك من رحمها ، الى اختلافك في أدوار أطوارك ، الى آخر نفس منك ، ثم يجرى عليك بعد ذلك بجميع ذلك من مجالس الحق معك ، من غير حلول فيك ، ولا اتحاد بك ، وهو يعلم متقلبك ومثواك ، طبق ما تطلبه حقيقتك في حضرة توحيدك المطالب بتوحيد الحق عن اطلاقك وتقييدك :

توحيد نفسك في توحيد خالقها ... بلا اتحاد تراه في حقائقها
متى صفت وصفته في مشاهدها ... بما تنزه عنه في سرادقها
لها تنزل وهو في تنزله ... منزه عن حلول في بوارقها
حتى اذا انقشعت عنها ضلالتها ... لم تلفه في الوجوه غير خالقها
تدنو اليه دنو العارفين به ... فلا ترى غير شمس في مشارقها
وهل ترى الحق عين لا يكون لها ... عينا وعنه تردت في عوائقها
ما دام لم تره به فليس لها ... منه سوى ما تجلى من طوارقها
والحق حق ولا غير ولا غير ... تعروه من نفسه أو من مفارقها
فلا يداخلك وهم في تعقلها ... في الخلق من الف وعن معانقها
لا لا أريد اتصالا لا انفصال له ... والنفس قد قيدته في وثائقها
ولا أريد انفصالا لا اتصال له ... وفيه دامت وهذا من علائقها
جل الاله تعالى عن مشابهة ... تجول بالنفس فيه في طرائقها
فسر اليه به تجده نفسك في ... تنزيهه نفسه لدى خلائقها

فاتضح الصواب ، في طي هذا الجواب ، بحمد الله ، وما توفيقي الا بالله .

السؤال التاسع عشر : بأى شيء حظ كل رسول من ربه ؟

الجواب : اعلم أن هذا السؤال وأمثاله مما هو من الحظوظ الخاصة ، لا سبيل لأهل

الفتح

الفتح من أصحاب العلم اللدني، فضلا غيرهم للخوض في هذا البحر العميق، ولا يذكر مثل هذا السؤال الا امتحانا لأهل الذوق وغيرهم، لأن الجواب عن ذلك لا يكيف ولا تحمله العقول، ولا يوجد في طوق أى فصيح من أى لغة كان عبارة تحوم حول ايصال معناه للأفكار السليمة، ولا تفي الاشارة بما يستلفت الأنظار المستنيرة الى ادراكه على ما هو عليه، لأن ذلك من سر الرسول الذى خص بذلك الحظ :

وان حظوظ النبوة لا سبيل لعقل لادراكها
فكيف حظوظ الرسالة في مطالع أشمس أفلاكها
فأحرى الوصول لأسبابها ولم يدرها غير مساكها

وسيأتي زيادة بسط في هذا المعنى في الجواب عن السؤال السادس والستين بعد الجواب عن الحظوظ التي أوردها من السؤال الواحد والستين اليه حتى انتهت للمقام المحمود

سبب الجود في الوجود من الحق على الخلق لا يطاق بحال
والذى أفصحت به فيه عنه ألسن العارفين سر الكمال
لم يكن ثم موجبات سوى ما في المجالي يرى فسيح المجال
ثم ذات كمالها تم في مجد عظيم كمالها كم تعال
وهو ذو الفضل بالعناية منه خص من شاءه بفضل النوال
وبفضل منه وجود حقيقي عم كل الوجود دون انفصال
وأصل الخلق منه امداد سر ليريهم بأنه ذو الجلال
وجلال الكمال منه اقتضى كونا يراه المحق دون اختلال
فاعرف الحق فهو حق وما للحق الا الكمال دون مثال

السؤال العشرون

أين مقام الرسل من مقام الأنبياء ؟

الجواب : اعلم أن المقامات التي يحل فيها المكلفون في حضرة الاصطفاء أربع، هي كالأمهات لما تتفرع اليه من المراتب التي لا يحصر عددها لتجددها أحوال المترقي فيها في هذه الحياة، وفي دار النعيم، بما قام به في قيد التكليف الذى أقام فيه في دار الامتحان :

وما

وما هذه الدنيا سوى دار محنة بها اختبر المولى جميع عباده
فمنهم من استهوته فاحتل في الردى ومنهم أناس خصهم بوداده
وهم أمناء الحق بالحق آمنوا وفي الخلق قد ساروا بنهج رشاده
وهم درجات كل من حل رتبة به ترتقي في الفضل قدر اعتقاده

وهذه المقامات هي الايمان، فالولاية، فالنبوة، فالرسالة، وبين المقامات مراتب لا تنتهي الا بازاء المقام الذى اتصلت به، فالايمان يتفاوت مراتبه يتصل بالولاية، والولاية تتصل بقدم أهل النبوة، ويتصل حبلها بحبلها، والنبوة تتصل بالرسالة، فالايمان مشروط في الجميع، والولاية خاصة وعامة، فالعامة للجميع على قدر ما لصاحبها من الاجتهاد في طاعة الحق والاقبال عليه باخلاص الوجهة بين الخلق، وقد خصت في الاطلاق بالمؤمن المتقي اخذا من قوله تعالى (10 : 62-63 ألا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون. الذين آمنوا وكانوا يتقون) فقد يكون المؤمن غير متق، فهو غير ولى، ومن نظر الى اعتقاده في ربه عده وليا غير صالح، والصالح هو الولي الذى تولاه الحق بمقتضى (وهو يتولى الصالحين) وأما الولاية الخاصة عند العارفين فهي ولاية الرسل عليهم السلام. ومن ثم فضلها على النبوة من فضلها، ولا شك أن الخاصة بالرسل من حيث كونه رسولا أفضل من كونه نبيا غير رسول، فالرسالة لا مقام أعلى منها، وهي مرتبة، وهي نفس الولاية التي فضل بها الرسول درجة النبي، وليس المراد بها الولاية العامة.

ان الولاية بالرسا لة قد تكامل قدرها
وبها النبوة قد تمكن في الرسالة سرها

فلولا الايمان لم تكن بقية المقامات، ولولا الولاية ما كان أيضا ايمان، لأنه لم يكن الا بولاية الحق للمؤمن، فالحق لم تسعه أرضه ولا سماؤه، ووسعه قلب عبده المؤمن بتنزيهه عما لا يليق به:

ان للمؤمن قلبا وسع الحق بحق
نزه الحق عن الأمثال في رتق وفتق
ليس للمثل مجال هاهنا عند المحق
كيف والمثل خيال في مهاوي السحق ياق
لم يكن ظرفا لشيء لا ولا مظروف حق
جل

جل عن كل حلول   واتحاد مع خلق

وبهذا وسم الحق   لنا القلب بصدق

واذا اتضح لك الفرق بين المقامات رأيت بعين قلبك أينية المسؤل عنه

مقام النبوة بين ولا   ية قد توارت وبين الرساله

وسر الولاية بينهما   سرى للسوى منهما لا محاله

فكان لذوى الايمان قدم صدق باستمداد خاص، من هؤلاء الخواص، وعلى قدر التمكن في الايمان يتمكن صاحبه في مكانة تولي الحق له، ويحصل على سر الوراثة الذى هو من نتائج التولي الخاص، جعلنا الله من أهل الخصوصية في هذا المقام بمنه آمين .

السؤال الواحد والعشرون : أين مقام الأنبياء من الأولياء ؟

الجواب : اعلم أن الولي لا يدعي النبوة أبدا، ولو بلغ ما بلغ في الولاية في هذه الأمة المحمدية، لتحققه بأن النبوة مقام غير كسبي، وولاية النبوة خاصة بأهلها، ومقام الولاية العامة دون النبوة في الرتبة، وأولياء هذه الأمة المحمدية كأنبياء بني اسرائيل في التخلق بأخلاقهم، واقتباسهم من أسرارهم، ومعرفتهم بالحق، والارشاد اليه في السر والجهر، قاصدين بذلك وجه الله من غير أغراض شخصية . ويحصل لأصحاب المجالس والحديث منهم أحوال، ويصلون الى مقامات بازاء النبوة، يتلقون فيه بالالهام ما يحصل للأنبياء عليهم السلام بالوحي، ولا يصل ذلك الالهام من الثقة لما يحصل بالوحي، لأن الولي قد يقع في الايهام والابهام، ولا يقع شئ من ذلك في حق النبي، لأن النبي لا يتطرق في ما يرد عليه من حضرة القدس شك ولا ريب، لرسوخ قدمه في المعرفة بالله، مع تحققه بمقام العصمة الذى يكاد أن يكون هو المسئول عنه بهذا السؤال، الا أن هناك لطائف أخرى لا يصل اليها الأولياء، وهي في الأنبياء متيسرة من سائر الوجوه، فضلا عن مقام الرسالة . ومن اعتناء الله بالخلق أن جعل الأنبياء والرسل من جنس الآدمي، وقد يكون الرسول ملكا غير نبي، ولا يكون النبي ملكا، بل النبي أعلى رتبة من الملك لجمعه بين سر البشرية وسر الملكية، وان كانت العصمة ثابتة لهما معا، أما الولي فهو غير معصوم، لذلك فضله الملك في نظر العارف، فلا يصل لرتبة الأنبياء أحد من الملائكة، فضلا عن الرسل، وهذا أمر تتشرف به الملائكة، وليس فيه حظ من قدرهم عليهم السلام، وربك يخلق ما يشاء ويختار

مقام

مقـام النبـوة في الأوليـاء   مقـام تسامى بأوج الـعـلاء
يقـارب في رفعـة رتب الـرسالـة في منعـة وارتـقـاء
توسـط بين الولايــة في   خصوصيـة بين أولي الـولاء
ألست تـرى الأوليا خضعا   اذا ذكـرت رفعـة الأنبياء
وقد عرفوا قدرهم اذ صفت   سريرتهم فغـدوا كالمـرائي
تجلت بها صورة الناظرين   فيهـا سرائـرهم في جـلاء
فهذا يـرى حسنـه ظاهـرا   لحسـن نوايـاه دون امتراء
وها ذاك من سـوء نيتـه   يرى ما يرى مـن جفـا وشقاء
فمـعتقد الخير يبصر خيرا   ومعتـقد الشر للشـر راء

السؤال الثاني والعشرون : أى اسـم منحوا من أسمائـه ؟

الجـواب : اعلم أن كل مخلوق له اسم عال واسم نازل ، فالاسم النازل ما تنزل عليــه فتسمى به من اسم خاص ، أو لقب أو كنيـة .

وقلما أبصـرت عينـاك ذا لقب   الا ومعـنـاه ان حققت في لقبـه

فطابق الاسم مسماه في حق من عمل بمقتضاه ، وقد يكون المسمى متبرأ من الاسم ، ويكون العكس ان لم يتحقق فيه معناه ، ومـن هنا يعرف المفتوح عليهم أسماء من لم يروه من قبل ، وبمجرد ما يرون شخصا الا ويعـرفون اسمه ، وقد وقع ذلك لكثير من المفتوح عليهم . فهذا جد النبي صلى الله عليه وسلم سماه محمدا تحققا بما رجاه في حقه ، فحقق الله رجاءه ، فكان سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم محمودا في الارض والسماء ، ورأى رسـول الله صلى الله عليه وسلم شخصا من بعد ، فقال : كـن أبا ذر ، فكان أبا ذر ، ومثل ذلك واقع لوارثي الأنبياء عليهم السلام

لوارثي الأنبياء ما بـه امتـازوا   من مكرمات بها في الناس قد فـازوا
والله أعطاهم من الكرامـة ما   بـه لغيرهم قد كـان اعـجـاز

وأمـا الاسم العالي ، فهو الاسم الأعظم في حق المسمى بـه ، منه استمداده ، وبــه انقياده ، تجلى الحق به عليه في الظاهر والباطن ، فاذا انكشف للمسمى به وعرفه تصرف في الخلق به تصرف المالك في ملكه ، بتفويضه له في ذلك

رب عبـد مولاه صرفـه في   ما حباه فـقـام فيه مقامـه

لم

لم يكن باستحقاقه نال هذا ... بل بفضل دنيا ويوم القيامه
فاعتبر أيها المطالع هذا ... في ولي سمعت عنه كرامه
لا تكن مسرعا عليه بانكا ... ر لسر أبداه واحذر ملامه

فأما الاسم المسئول عنه الممنوح لهم، فهو بحسب الممنوح له في المقام الذى تصدر فيه، والحال الذى اتصف به، والتجليات الجلالية والجمالية المستولية عليه، ولا يمكن تعيينه لعدم حصر التجليات في الدارين، فهو في كل تجل يكتسب اسما، وتستولي عليه حضرة اسم:

حضرات الأسماء لا حصر فيها ... وهي فينا مفتوحة الأبواب
كلها اسم مع اختلاف المسمى ... بل مسماها واحد في احتجاب
ان هذا هذا وذا غير هذا ... ان هذا لمن عجيب العجاب

ولقد اختصر السائل هنا سؤال الحكيم الترمذى وخالف أسلوبه، فيحتاج هنا الى معرفة الضمير من (منحوا) هل يعود على الأولياء أو الانبياء، أو الرسل، أو الخلق كلهم، أو طائفة منهم مخصوصة؟ مع معرفة عود الضمير من أسمائه، هل يعود على الحق، أو على كل رسول، أو على المقام، أو على ملك الملك، أو على الخاتم؟ ولكل اعتبار وملاحظات يحتاج في بسطها الى تويلف خاص، مضمنه لا يخرج عما حصلناه في التقرير آنفا لمن ألقى له السمع ليستفيد، واذا أراد تحقيق البساط فلا بد من أن يراعي المقام، فان العبارة تضيق بالاعراب عن حقيقة الاسم والمسمى بنسبتهما للعبد وللمولى، ولربما زلقت في مزلق الايهام بفهم ما لا يليق بجناب الحق جل علاه. ومن هذا الباب قولنا فيما أورده علينا الوارد:

أنا المسمى بأسما ... وها أنا لا أسمى
حقيقة الاسم مني ... كانت ولي فيه أسما
أليس هذا عجيبا ... اذ صرت عين المسمى
ولست حقا ولكن ... حقا أبنت المعمى
والحق نزه عني ... وكل ما هو أسمى
فلا تقل باتحاد ... فيه أضل وأعمى
ولا تقل بحلول ... ما قاله غير أعمى

فالحق

فالحق جل علاه حاز الكمال الأتما
له الكمال الحقيقي ذاتا ووصفا وأسما
وهو المنزه عما به سواه تسمى
والخلق بعض أسامي له وللحق تنمى
فالحق حق وأما العبد فعبدا يسمى

والحاصل أن العبودية شاملة للمقام الذى يحل فيه المخلوق كيف ما كان، وشاملة للاسم الذى منح هذا المخلوق، فهو عبد بمقتضى (19 : 94 ان كل من في السموات والارض الا آتي الرحمن عبدا) فلا خروج عنه لمخلوق، ولا يسمى الحق عبدا لدخول العبد تحت السيطرة القهرية التي لا تسلب عنه

العبد عبد مكلف والرب ليس يكلف
والعجز في العبد باد والحق غير مكيف

قال بعض الشيوخ المتصرفين في الخلق بأسماء الحق لبعض مريديه، وقد رأى منه ما تغير قلبه به عليه: ويحك أما تخشى أن أسلبك، فقال المريد له: ان سلبتني فلا تسلبني العبودية، فصاح الشيخ صيحة، وسقط مغشيا عليه، ولما رجع الى حسه، ورأى مريده حاضرا مع من وقفوا على رأسه صرح له هذا الشيخ بأنه تائب مما ادعاه، فأثر ذلك في المريد وفيمن معه، واستعطف خاطره في مسامحته فيما جناه، وتاب بين يديه، فكان بجواب المريد لهذا الشيخ تربية، ولولا صدق نيتهما معا ما انفعلت نفسهما بالحال النازل عليهما، في المقام الذى جمعهما، فلا يتأثر الشيخ بما قاله مريده، ان كان غير مخلص فيه، ولهلك المريد حينا بسوء أدبه، وان قال حقا، وأقل ما يمتحن به عدم توبته، وقد استفاد شيخه من مقاله ما صار يرى فيه الفضل لهذا المريد عليه، حيث رباه وأشعره بتمكن عبوديته التي لا ينسلخ عنها أبدا، فالصدق منهما نفعهما، ولو كان للمريد حظ نفس لسلبه ذلك الشيخ من مقام العبودية، ورمى به في تيه الدعوى الخارجية بصاحبها الى الجحود، فيدعي ما ادعاه فرعون المطبق عليهم بتعدى الطور بالتظاهر بالألوهية أو اضمارها في نفسه لنفسه، وهو غير خارج عن العبودية الأصلية مع ادعاء ألوهيته، وحسبنا الله ونعم الوكيل، وفيه كفاية.

السؤال الثالث والعشرون

أى

أى شيء حظـوظ الأوليـاء من أسمـائـه ؟

الجواب : اعلم أولا أن الضمير في أسمائه ، ان عاد على الحق تعالى ، فالاسم الذى يكون حظا لهؤلاء السادة هو ما يوافق مشرب كل واحد منهم ، وعلى أن الضمير للمقام فهو ما يحصلونه . واعلم ثانيا أن كل ولي لله من أول قدم في الولاية الى آخر قدم من ولاية الرسالة الا والمقصود عنده الله ، فالله غاية المقاصد الذى ما فات شيء من حصل على الوصول اليه ، وما حصل على شيء من فاته ، فحظ الأولياء على العموم هو الله ، ولكـن يتفاوتون في هذا المقصد بقدر ما لهم من المعرفة بالمقصود ، وللوارد علينا في هـذا المقام هذه الأبيـات :

مالي سـواه مـن المقاصـد بين الأقارب والأبـاعـد
شاهـدتـه فاذا بـنـه هـو لا سوا ه له يشاهد
وقـف الـهوى بـي عـنـده في موقـف العبـد المعانـد
لم ألتـفـت لسوا ه عـنـه ولي بـه عظمـت مـواجـد
واذا الـهوى استولى عـلى صب ففيـه الصبـر بـائـد
لا يستـقـر بـه القـرا ر بما تـراه له يـكـابـد
حـتى يرى مـحبـو بـه ولديـه يحـظى بالمقاصد
و يـلي علي اذا بـقـيـت أهيم في تلـك المشاهـد
وسـواى قد خـرق الحبيـب له من النفس العوائد
حتـى رآه ومـنـه شـا هد ما أقـام مـن الشواهـد
هـو قـصده لا غـيـره من كـل ما هـو منه قاصد
هذا هـو العبد الـذى من ورده حلـت الموارد
و بنفسه مـن نـفسه في نفسه جمع المحامـد
فليـهن بالوصـل الـذى صدحت بـه كل القصائـد

ثم ان الحظوظ منها طالبة ، ومنها مطلوبة ، فالطالبة تأتي لصاحبها عفوا من غير تشوف اليها ، وهي المواهب التي لم يستعمل في تحصيلها وسائل ، ولا تنال برياضات ولا غيرها من المجاهدات في احرازها . وأمـا الحظوظ المطلوبة ، فمنها محمودة ، ومنها مذمومة ، ينالها البر والفاجر بالتحلية والتخلية ، ومجاهدات نفسية ، و رياضات بدنية و روحية ، فينال

فينال صاحبها مطلوبه على قدر أعماله ، وفي سائر الحظوظ يكون لصاحبها اسم خاص ، والمدار هنا في مقام المعرفة على الاسم الخاص ، فان العارف اذا حل في مقام كان له اسم خاص به يعرف بين أهل المقامات ، يمتاز به بينهم بين أهل الحظوظ ، لأن ذوى الهمم دائما يتشوفون لما هو أعلى من المقام الذى وصلوا اليه ، ولا يقفون عنده البتة ، الا اذا انكمشت نفس أحد منهم ببرودة الحال ، و رضيت بالدون ، فيمد تشوف العارف للتحصيل على ما هو أعلى حظا من الحظوظ ، من أول قدم من الولاية الى آخر درجة يحل فيها ، فيقال له مثلا : مؤمن ، ثم موحد ، ثم ولي من أولياء العصر من أهل التصرف أو غيرهم ، ممن ظهر أمرهم وممن خفي بهم في زمان ، ولا يتهم بمنزلة الأنبياء في زمن نبوتهم ، وهم الخواص من عباد الله ، وأعلاهم الرسل ، لجمعهم بين أركان المعرفة بالله التي هي الرسالة والنبوة والولاية والايمان . وقد جعل الله لهذه الأركان من قامت به على دعامة التقوى ، وهم الأوتاد الأربعة ، ومن كان على قلوبهم من الأولياء ، وكل واحد من هؤلاء الأوتاد هو المعروف بالقطب ، يقوم مقامه من قدمه على قدم أحدهم ، ولا يزالون في هذه الدنيا الى قيام الساعة منذ ظهروا ومنذ استتروا تحت ستر السر الذى تمكنوا منه ، وهم : 1 – عيسى 2 – وادريس 3 – والياس 4 – والخضر عليهم السلام ، ولا يكون القطب الا بعد تمكنه من الامامة ، ولا يكون الامام الا بعد أن يكون وتدا ، فالقطب واحد ، واسمه عبد الله ، لا يكون الا واحدا في الزمان ، وهو من الامامين ، واسمهما عبد الرب وعبد المالك ، وهما من الأوتاد . فبالواحد منهم يحفظ الله الايمان ، وبالثاني يحفظ الولاية ، وبالثالث يحفظ النبوة ، وبالرابع يحفظ الله الرسالة ، وبالجميع يحفظ الله الدين الحنيفي . وهناك في عصر من عالم الأنفاس أولياء ، منهم من يحصرهم العدد ، ومنهم الخارجون عن دائرة العدد ، يتعارفون فيما بينهم ، ومنهم من لا يعرفه الا خواص الخواص ، فالمحصورون في العدد : 1 – القطب واحد ، 2 والامامان اثنان ، 4 – والأوتاد أربعة ، والأبدال سبعة السبعة 7 – وهم على قدم الأنبياء الذين اجتمع بهم النبي صلى الله ع عليه وسلم في ليلة الاسراء ، والنجباء الثمانية 8 – والنقباء الاثنا عشر 12 – وهناك واحد في كل زمان ، وهو أحد الأولياء الذين هم الحواريون ، وكذلك الختم فهو واحد ، ولكن ليس في كل زمان ، ولا يجتمع ختمان على قدم واحد ، في زمان واحد . ومن الأولياء من يشرب من مشرب واحد ، ومنهم من يشرب من مشارب متعددة ، من نبي واحد ، أو من متعددين

متعددين ، وقد يكون على قدم لعدد الأنبياء عدد من الأولياء ، يأخذون منه بقدر ما تحمله آنيتهم من معارفه ، ولا يتعدد الختم منهم ممن على قدمه في الزمان الواحد .

فمن الأولياء الذين يأخذون من نبي واحد أهل الأنفاس ، وهم على قلب داوود عليه السلام لاجتماع أحوالهم وعلومهم ومراتبهم فيه ، فمنهم 10 - رجال الغيب ، وهم عشرة ، ومنهم 18 - الأولياء الظاهرون بأمر الله عن أمر الله ، وهم ثمانية عشر نفسا ، ومنهم 15 - رجال الحنان والعطف الالهي ، وهم خمسة عشر نفسا ، ومنهم 24 - رجال الفتح ، وهم أربعة وعشرون ، ومنهم 7 رجال المعارج ، وهم سبعة أنفس ، ومن الأولياء 21 - رجال التحت الأسفل ، عددهم أحد وعشرون نفسا على قدر عدد رجال النفس الرحماني النازل الذى به حياتهم وغذاؤهم ، ومنهم 3 - رجال الامداد الالهي والكوني ، وهم ثلاثة أنفس الى غير ذلك من المحصورين في العدد الموجود في كل زمان ، وكل واحد له حظ في تشوفه لمرتبة أعلى مما هو فيها مخصوص بالاسم الذى يمتاز به عن غيره . وقد بسط الشيخ الأكبر في الفتوحات المكية الكلام على هؤلاء الأولياء وغيرهم من الاولياء ، ولا محيد عن ذكر عددهم بالتبع له ، ونحن ما لنا الا حفظ العدد ، ولسنا منهم لما نتحققه في أنفسنا من الدعوى ، ولا ممن يعرف أعيانهم فنذكر أسماءهم ، الا أن يتفضل الله علينا فنكون منهم ، ولو كشف لنا الغطاء عنهم لم يسعنا الا كتم أسمائهم التي تسموا بها قبل الاسم المطابق لحظوظهم ، غيرة من الشهرة ، والله المسئول أن يجعلنا من خاصة الخاصة منهم ، انه رب ذلك والقادر عليه .

السؤال الرابع والعشرون : أى شيء علم المبدأ ؟

الجواب : اعلم أن علم المبدأ علم عزيز ، يعبر عنه تقريبا للفهم بموجب الخلق ، أو سبب ايجاد الخلق ، مع أنه لا غرض للحق في هذه المخلوقات المتكونة في الوجود ، والمنتقلة من عالم الشهود ، في تجددها ، وانقطاعها وظهورها ، وخفائها وسائر أطوارها في أدوارها ، في دار الحياة الفانية ، والدار الباقية :

هل الكون أوجب من نفسه ... وجودا وفي نفسه ما اكتمل
أم الكون أوجبا يجاده ... وجود مكونه في الأزل
فان كان ذاك وليس بحق ... فلم هو في عدم قد حصل
وان كان هذا فلا موجب ... على الحق في كل ما قد فعل

لعمرك

لعمرك ما تم الا كمال   لحق بتفصيل هذى الجمل

ولولا الكمال لما ظهرت   جلالته عند من قد عقل

فكانت على وفق ما شاء الاله تعالى وعز و جل

وقد تحيرت هنا عقول وقفت أمام هذا المبدأ ، فمنها من زادها التحير معرفة ، ومنها من رجعت القهقرى في حالة ترضي أو تردى بها في مهاوى الزلق ، نسأل الله السلامة . ومظهر تجلي الحق في المبدأ ، ولا مبدأ للحق فيما عنده من سر اسمه المبدئ المعيد ، والأول والآخر ، والظاهر والباطن ، والرحمن الرحيم ، وكل اسمين من هذه الأسماء اسم واحد ، ومعنى الجميع واحد في نظر العارف في استمداد الخلق من الحق ، وقد قصرت عبارة بعض المعبرين عن الحقائق من متقولة الصوفية فقالوا : بالعينية ، مع أنه لا عينية ولا اتحاد ولا حلول عقلا ونقلا وذوقا ، وان كان قصد جل من يفهم من قوله ذلك ظهور المعلوم على ما كان عليه في العلم ، وحكم الفرق بين الخلق والحق نسبي ، ولكن أين مرتبة الحق من الخلق ، ولا نسبة بين القديم والحديث ، حتى يكون بينهما اتصال أو ارتباط

أتعرف منك الروح أين وماهيه   لتعرف مسرى السر في كل ماهيه

حقيقة هذا الكون عنك خفية   أتدركها بالعقل والنفس فانيه

جهلت وما تدرى بأنك جاهل   وفيك علامات الجهالة باديه

فان تك هذى الروح تجهل كنهها   وفيك ترى عنك الحقيقة خافيه

فكيف دعتك النفس منك بجهلها   لادراك سر الحق فيك علانيه

هو الحق لا ما أنت تعرف كنهه   فدع عنك ما تدرى النفوس معانيه

ولا تتوهم فيه ما أنت مدرك   بعقلك من أشياء لم تدر ماهيه

فلا أولية للحق ، وأما الخلق فهو دائما متجدد الأولية ، فكل نفس من أنفاسه ، وكل طرفة عين منه ، بل وما هو أقل من ذلك الا وله أولية ، وهذه الأولية بالنسبة اليه لا غير ، وليس مع الله شئ ، حتى يكون هو المبتدأ له ، وانما الحق مبدع ومعيد ، وليس له بدء ولا انتهاء

فلا تتعقل فيه ما دونه العقل   فكم من عقول فيه قيدها العقل

وكم من عقول قد أزال حجابها   وقد عرفته أنه ماله مثل

فزادت وشوقا في وشاق به ولم   تحد عنه لما كان منه لها وصل

فلم

فلم تتسع الحق فيه لغيره — ونالت به علما به ينجلي الجهل
أتعجب من جهل يورثك الهدى — ومعرفة والعقل بالجهل يختل
هو الحق ما فيه مجال لعاقل — وليس لمن قد جال فيه يرى عقل
وكن عارفا بالله غير مقلد — لغيرك في التوحيد فهو به تعلو
وكن ماسكا حبل الشريعة انها — طريقة حق قد أتتنا بها الرسل
وكم خائض بحر الحقيقة لم يزل — غريقا ومن أوحالها ليس ينسل
فعض على حبل الهدى بنواجذ — بجيد عقل منك أيده النقل

فبان لك مما قررناه علم المبدأ، مع الالمام بطرف مما يتعلق بمعنى البدء، وهو بالتفصيل يحتاج الى تطويل، فلنقتصر على ما أملاه الوارد علينا هنا، ونحيل الى قوله تعالى (30 : 26 وهو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه) وقوله تعالى (29 : 18-19 أولم يروا كيف يبدئ الله الخلق ثم يعيده ان ذلك على الله يسير. قل سيروا في الارض فانظروا كيف بدأ الله الخلق ثم الله ينشئ النشأة الآخرة ان الله على كل شئ قدير) فهذه الآية فيها ارشاد الى التحصيل على مبادئ هذا العلم النفيس، وهو من أمهات علوم المعرفة بالله، رزقنا الله الفتح من عنده، لنصل الى حضرته في أمن وأمان.

السؤال الخامس والعشرون

ما معنى قوله عليه السلام: كان الله ولا شئ معه ؟

الجواب: اعلم أن الحديث الوارد في الصحيح هو قوله عليه الصلاة والسلام (كان الله ولم يكن شئ غيره) وأما الحديث المسئول عنه، فتوجد فيه زيادة وهي هذه الجملة (وهو الآن على ما هو عليه كان) وقد أنكرها الشيخ الأكبر، وتبعه على ذلك بعض علماء الحديث. وفي أثناء شرح العلامة القسطلاني للحديث الصحيح المتقدم قال: وأما ما وقع في بعض الكتب في هذا الحديث (كان الله ولا شئ معه، وهو الآن على ما عليه كان) فقال ابن تيمية: هذه زيادة ليست في شئ من كتب الحديث. ومعناه أن الله كان في الأزل منفردا. وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم: أين كان ربنا قبل أن يخلق خلقه ؟ فقال: في عماء ما فوقه هواء، ثم خلق عرشه على الماء. ثم نرجع الى الحديث المسئول عنه، وهو صحيح في نظر العارفين دون الزيادة المذكورة، ومعناه: الله موجود ولا شئ معه، وهو سبحانه مع الأشياء لعلمه بها، وليست الأشياء معه،

لكونها

لكونها غير عالمة به، وانما لها بعض المعرفة به على وفق ما فتح به عليها . وتحقيق المقام يحتاج فيه الى كشف صريح، وذوق صحيح، ممن يعرب عن معنى هذا الحديث، ولمن يملي عليه، مع أن العبارة لا تفي بالغرض في تبيينه، وقد ينشد هنا في بيان الحقيقة :

رق الزجاج وراقت الخمر فتشابها فتشاكل الأمر
فكأنما خمر ولا قدح وكأنما قدح ولا خمر

فظرفية العماء مستحيلة في جانب الحق، وكأنه يراد بها عدم معرفة الكنه، فلا يسأل عنه (بأين) فالعماء بمعنى الخفاء في الجملة، فهو لا يظهر أمره، ولا يمكن التعبير عنه أكثر من هذه العبارة الشريفة :

ليس مع الله أحد لأنه الله الصمد
في كنهه قد انفرد وليس في هذا لدد
لذاك قال من رشد حقا هو الله أحد

فالله جل علاه هو هو، فهو غيب في غيب، وبعبارة أخرى هو شهود في شهود، بمقتضى (الله نور السموات والارض) غير أن الشيء الذى ترتعد عنده فرائص السامع هو التعبير عما رمز له قوله عليه السلام (ولم يكن شيء غيره)

فلا تقل أنت أنت حيث قال أنا أنا ولا هو أنت دون ايقان
فما أنا أنت في تحقيق أنت أنا ولا أنا هو في تأييد ايمان
فهو هو بلا شك فكنه بلا بحث عن الكنه في مقام احسان
~~فهو هو الحق~~ فالحق جل علاه لا مثيل له وليس يشمله مكان امكان
فنزه الحق طبق ما يليق به في الذات والوصف في سر واعلان

وهذا السؤال من باب السؤال قبله في الغموض، وهو في الحقيقة من تتمته لدى من حقق المناط، والله يقول الحق وهو يهدى السبيل .

السؤال السادس والعشرون : ما بدء الأسماء ؟

الجواب : اعلم أن هاهنا أمورا ثلاثة، أمران من البدء، وهما أول الأسماء، وما تبتدأ به الأسماء، والثالث هو نفس الأسماء . وهذه الأسماء على نوعين : أسماء الحق، وأسماء الخلق، وهل المراد بها المسميات أو أسماؤها ؟ وذلك على حد قوله تعالى (2: 30 وعلم آدم الأسماء كلها) فهو يعلم أسماء الحق، وأسماء الخلق، وله العلم الحقيقي

الحقيقي بالمسميات قديمها وحديثها ، الا ما كان من كنه الحق ، فلا يطلع عليه الا الحق ، وأما ما عداه فلا يشتبه عليه أمره بتعليم الحق له ، فانه أعطي عليه السلام العلم اللدني الذى عرف به ، وبه أتم معرفة ، وعرف به المخلوقات أتم معرفة . فأما ما تبتدأ به الأسماء بمعنى المسميات فهو الحقيقة المحمدية ، وهي أول الأشياء من المكونات ، وأول الأشياء على الحقيقة هو الحق ، لأنه الأول والآخر ، والظاهر والباطن ، قبض قبضة من النور الذى خلقه وقال له : كوني محمدا ، فالنور المخلوق كله نفس المقبوض ، فما ثم نور مخلوق فاضل عن القبضة . فمن بيانية لا تبعيضية ، وأما ان كانت بمعنى أسماء المسميات ، فأولها (الرحمن الرحيم) فلذلك اشتملت على هذين الاسمين البسملة ، وهو في نظر العارفين اسم واحد ، اذا اقتصر على أحدهما في اللفظ كان الثاني منويا . فمن قال (الرحمن) فكأنه قال (الرحمن الرحيم) ومن قال (الرحيم) فكأنه قال (الرحمن الرحيم) اللهم الا اذا نكرا فينفك التركيب ويسوغ اطلاقه بعد ذلك على المخلوق . فأول ما تبتدأ به الأشياء البسملة ، وهي من العارف بمنزلة (كن) من الحق ، فبكلمة كن من الحق برزت المكونات من العدم للوجود ، على وفق ما في العلم ، وقد قضت الحكمة أن يكون منشأ الخلق على ما اقتضته حقيقته بتجلي الحق عليه ، فالخلق كلهم متكونون من شيء في شيء لشيء بشيء ، ولكل شيء من هذه الأشياء مع ما تفرع عنها ، وما انبنى عليه اسم خاص ، بتجلي اسم خاص في حضرة الغيب وحضرة الشهادة . والهيمنة الكبرى لتجلي الحق باسم المبدئ المعيد ، واسم الأول والآخر ، واسم الظاهر والباطن ، وكل اسم من أسماء الحق مركب من اسمين ، يدلان على التضاد أو التناقض ، كاسم المحي المميت ، مع كل اسم مركب من اسمين يجمعهما الاشتقاق ، كالواحد الأحد ، والرحمن الرحيم ، فالواحدية والأحدية والوحدانية كلها راجعة الى نفس الوحدة ، والرحمانية والرحيمية مرجعهما الى الرحمة . ولولا الرحمة ما ظهر سر الوحدة في الكثرة ، ولا رجعت الكثرة للوحدة ، فالكثرة منشأ التفرق القاضي بالغضب ، والوحدة منشأ الاتحاد القاضي بالرحمة ، وليس في الحقيقة تعدد الا باعتبارات ونسب تميزت بها المظاهر ، والجميع من حضرة الحق مستمد ، ولولاه ما خلق شيء بمقتضى (ما خلق الله السموات والارض وما بينهما الا بالحق) فالحق مبدأ الأسماء . بهذا الملحظة ، وهو مدلول كل اسم مركب من اسمين ، كما تقدمت الاشارة اليه ، وبذلك تعلم أول الأسماء ، ويرجع سرها الى الاسم الجامع اسم الجلالة (الله) مع

معرفة

معرفة الأسماء والمسميات. ثم ان مبدأ الأسماء على الحقيقة في نظر العارفين هو اسم (هو) ثم اسم الأحد، ثم اسم الواحد، ثم اسم الوهاب، والودود. فاسم هو، هو المبدأ الذى يحكم عليه بسبقيته الاسم، وانظر الى قوله تعالى (هو الله أحد) وقوله (هو الله الذى لا اله الا هو) وقوله (هو الأول والآخر) ثم اسم الأحد مع اسم الواحد في حال انفراد الاسمين وتركيبهما معنى، وفي حالة تركيبهما لفظا. وأما حضرة اسم الوهاب، فهو مظهر المواهب التي من جملتها اعطاء الخلق ما استحقه من العبودية التي يترقى في مدارجها العارف الى مقام المعرفة بالله. فبهذا الاسم تجلى الحق على سائر الخلق في الايجاد والامداد، وقد تودد اليهم برحمته التي سبقت غضبه، فتجلى في حضرة الواحدية بهذا الاسم الشريف. وشرح هذه الأسماء ومناسبة حضراتها فيما بينها يطول، وفي هذا كفاية، والله الموفق.

السؤال السابع والعشرون: ما بدء الروح ؟

الجواب: اعلم أن الروح، اما بفتح الراء هنا أو بضمها، ولكل معنى في حد نفسه وفي مبدئه. فالروح بفتح الراء من نفس الرحمن الذى يهب من حضرة القدس على الخاصة من ذوى الولاية الخاصة، وقد يشاركهم في استنشاقه بعض العامة، فتطمئن صدورهم به عندما يتجلى الحق عليهم بالجلال، فلا ينقطع عنهم الرجاء في الحق في كشف ما نزل لتحققهم بأنه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون الذين ستروا الحق بالباطل ممن أضله الله على علم، أو على جهل، فكان من الخاسرين، ومبدأ هذا الروح الشعور باقبال الفرج مع اطمئنان النفس بحسن الظن في الله في انجلاء ما نزل بالفعل، أو ما هو متوقع النزول

نفس عن النفس بانتظارك الفرجا	وروح الروح منك واترك اللجا
وهل لمن عرف المولى يضيق له	صدر ويقطع عنه منه حبل رجا
بقدر ايمانك استجلب أمانك من	شر النفوس به ودافع الحرجا
ألم يكن صدر ذى الايمان منشرحا	وصدر ذى الكفر أضحى ضيقا حرجا

وأما الروح بضم الراء، فانه لا يسأل عنها، ولكن حيث لم يكن له أن يسأل عنها استفهم عن مبدأ هل، والمبدأ في نظر العارف نفس الغاية، فمن عرفت بدايته عرفت غايته، فهو بهذا السؤال يختبر المجيب، ان كان متحققا بالمقام الذى يدعيه في الختمية قال:

(الروح من أمر ربي) وان خاض فيها لم يكن له نصيب مما ادعاه، اللهم الا اذا كانت الروح لا بمعنى ما سئل عنه الرسول عليه السلام كما في قوله تعالى (42 : 49 وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا) فقد قيل : هو القرآن، وقيل : هو الرحمة، وقيل : الوحي، وقيل : الكتاب، وقيل : جبريل، فقد أوحى الحق من أمره للنبي صلى الله عليه وسلم روحا، والروح من أمر الرب، وأمر الرب (كن) ولا يمكن الاطلاع على مصدر هذا الأمر. وقد أنشدني الوارد هنا من روح الروح، وعلى وجه غير مشروح :

بقول كن كان كوني — وقد أحيط بصون
ولم أقم بي ولكن — به تكون كوني
حقيقتي أجتليها — من بين قوم هووني
دعوتهم ليروها — كما هم قد رأوني
واستفهموني عنها — وهم لها قد دعوني
فقلت يا قوم اني — جفوت من قد جفوني
هم أنا وأنا هم — وفي امتحان رموني
من جاء يسأل عني — رأى تلون لوني
فصلت عنهم لنفس — من أجلها قد قلوني
بها تحصنت منهم — والله ربي عوني
من جاء يمشي الهوينا — أمشي اليه بهون
وان أتى مسرعا لي — أمنته كل خون
فاعجب لهذا فبيني — وبينهم كل بون
قد روحوا النفس مني — بما به قد بلوني
فلست أشكو ولكن — لله ما قد سقوني

ويحتاج في هذا المقام الى توضيح المقال، حتى لا يفهم منه غير المقصود من الروح بالفتح، والروح المضموم، فهو في هذه الدار حامل لها، وفي الآخرة تكون حاملة له، ولا يمكن كشف حقيقتها، لأنها من أسرار الحق، حتى غلط بعض متوغلة الصوفية فادعوا بها اتحاد الخلق بالحق، وقد اجتمعت ببعضهم، وهو من أهل الذوق، فكشفت بحمد الله له ما كان مستوليا عليه من الأوهام، وسبب الغلط لجل من يرى بهذه العين عدم

تضلعهم

تضلمهم من عين التوحيد الذى يخرج به الشخص من التقليد، فيخوض الشخص منهم في توحيد الخاصة قبل تمكنه من تحقيق توحيد العامة، فتحكم الشريعة على من لم يعط الحق حقه بالزندقة. ولقد رأيت في ليلة اليوم الذى أكتب فيه هذه الأسطر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أمشي من ورائه، حتى وصلت الى محل، وعن يسار مرورنا عسكرى بلباسه الرسمي، فسار معنا حتى وصلنا لمحل به رجل جميل الوجه، فسمعت كلاما تأثرت منه نفسي، ولم استحضر معناه الآن، فاذا بذلك الرجل امتد في ذلك المحل وامتد العسكرى والرسول عليه السلام، وقد اقشعر جلدى من الحالة التي شاهدتها وأنا نائم، فصرت أقول: هؤلاء الثلاثة هم الشريعة والحقيقة والطريقة، وتخيلت في رؤياى أن الحقيقة هي العسكرى، ولكن الذى رأيته في اليقظة أن العسكرى هو الشريعة، لأنها هي الحاكمة الزاجرة، وأما الحقيقة فانها تدعو الى الاستسلام والامتداد من غير وقوف مع أى شيء كان. ومما يناسب تتميم الجواب عن هذا السؤال، ما صدح به بلبال [illegible] القريحة فيما قال:

دع الروح في داخل المخدع ... فان خرجت منك لم ترجع
قد انحجبت عنك لطفا بها ... ولطفا بنفسك حيث تعي
ولو كشف الحجب عنها ترى ... بعينك ما عنك لم يدفع
فتصبح حيران في أمرها ... وتلقي بنفسك في مصرع
هي الروح من سر خالقها ... وعنها ردا الستر لم يرفع
عجبت لمن راح يطلبها ... وليست بمرأى ولا مسمع
فكان بها وهي كانت به ... ولكن لها غير متبع
تحن لموطنها وهو لا ... يحن سوى للهوى المفزع
وموطنها عنه غير خفي ... ولكن بها فيه لم يقنع
يريد التقدم عنها الى ... فضاء من الجهل متسع
يريد التحكم فيها وما ... درى أنها الحكم الألمعي
هي الروح لولا تقيدها ... بجسمك لم ترم بالمقلع
فما هي أنت وما أنت هي ... فقولي لها أنت هي لتعي
فان أنت وافقتها فقتها ... لجمعك للخير في موضع

وان

وان لم تكن مثلها عارفا بربك لست بمنتفع

فتهوى بها في مهاوى الردى كما بك تهوى من المطلع

فكن طاهرا مثلها واجتنب تلطخها بالهوى المفظع

ستعلم من أنت ان ترعها بحفظ وتحشر ممن رعي

دع الخوض فيها وفي كنهها لئلا تصير بها مدعي

فهذى الحقيقة قد ظهرت لديك ولست بمنخدع

حذار حذار اتباع الهوى فمتبع الحق لم يدفع

وأهل الدعاوى بها سقطوا أمام الشريعة في مصرع

السؤال الثامن والعشرون : ما بدء السكينة ؟

الجواب : أن بدء السكينة هو عدم تحرك النفس لشيء من الأشياء قبل خطوره في عالم مخيلة خواطرها ، فما دامت النفس لم يخطر عليها خاطر سرور ، أو خاطر حزن ونحوهما من الواردات المحركة للوهم ونحوه الى درجة عين اليقين في كل شيء الا وتلك الحالة هي نفس بدء السكينة ، لأنها في ذلك التجلي السكوني ساكنة عن تحركها المخرج لها من ذلك البدء الذى هي مقيمة فيه في تلك الحالة . ولك أن تقول : بدء السكينة هو استشعار النفس بأول نفس يهب عليها بما يثلج به صدرها ، فتتشوف بانتعاش الروح الى تسكين ما بها بتحصيلها على ما تشوفت اليه . وهناك ما هو أعلى من الأول ، وذلك انفعال المتكون بما يهب عليه من حضرة القدس في حالة تكوينه ، فانه يكون في أتم استعداد لامتثال قبول التكوين بقول الحق له : كن

أودع الحق في المكون سرا عنه قد صار قابل التكوين

بتجلي قد خصه فبدا طبق الذى قد قضى بلا تخمين

كان في العلم ~~ههنا~~ ثابتا وبدا لقدرة قد أخرجته في تعيين

فهو لو لم يجعل به قابل الايجاد ما كان منه في التحصين

كل شيئ ونحن شيئ بحق قد وجدنا للحق في تلوين

نحن مقصوده ومقصودنا نحن هو الحق جل عن توهين

ما له غرض ونحن لنا كم غرض فيه صار في تمتين

وأعلى من الثاني استعداد المكون لقبول الاعدام ، مع اطمئنان الصدر بما يعامل به الحق

عبده وفق ما لديه من حسن الظن فيه ، فسكن روعه ، وأحب لقاءه بالرجاء فيه من غير التفات منه في ذلك الموطن الى ما صدر منه طول حياته التكليفية :

العبد مهما رأى كمال سيده ... يزهو به ويرى لنفسه الفضلا
يزهو به لارتفاع قدر سيده ... على السوى سيما ان فاخر المثلا
وان يكن نال من مولاه مكرمة ... فلا تسل عنه فهو بفقد العقلا
وحق للعبد أن يزهو بسيده ... لاسيما ان يكن لقربه أهلا
والعبد ان كان أهلا للتقرب من ... مولاه يحسن له في الطاعة الفعلا
وانه لايزال في سكينته ... قد أطمأن له قلب به حلا
يرى له العز في استخدامه ولو أنه ... تحمل في استخدامه الذلا
لاذل للعبد ان أطاع سيده ... بل طاعة العبد للمولى بها جلا
فليهنا العبد بالقبول منه له ... ما دام يرقب في ايمانه الا

فهذه سكينة خصوصية تحصل للعبد بقبول مولاه له من مبدأ الأمر الى آخره . ولما كانت النفس مجبولة على التحرك لنيل حقيقة ما خطر لها من معالمها وعوالمها ونحوها بطبع جبلي مركب فيها ، ولا يستقر لها قرار حتى يحصل لها الاطمئنان بذلك الخاطر على وفق ما تتشوف اليه كان حقا أو باطلا، عد وقوفها الأخير من الحركة ، فكرية كانت أو غير فكرية ، من بدء السكينة ، فلبدء السكينة طرفان ، وهما عدم التحرك القلبي بالكلية واطمئنانه بعد الحصول على ما تحرك له ، وكل ما بين الطرفين فهو خارج عن البدء فيه ، ويكون سكينة وغير سكينة . وبهذا يتحقق العبد أنه ما دام متحركا حركة فكرية الا وهو خارج عن بدء السكينة ، وما دام مطمئنا قبل خطور شيء بباله يجول فيه الا وهو في بدء السكينة ، وغاية تجواله بالحصول على المقصود ، أو اليأس منه حتى زال بالكلية خطوره من البال هو أيضا من بدء السكينة ، لأن بذلك تحصل الاستراحة على أن العبد في حال التلبس بتطلب الحصول على المطلوب ، قد يكون متلبسا بالسكينة في حال حركة ، لأن كل ما لم يخطر له فهو في بدء السكينة فيه ، وما خطر له خرج فيه عن بدء السكينة الى أن يحصل الاطمئنان له بالخاطر الذى تحرك له في عالمي الحس والمعنى . وقد طولب بالسكينة في المواطن التي اقتضت الشريعة التلبس بها بالباعث للحركة كالآتين للصلاة فقد خاطبهم سيد المؤ د بين بقوله (اذا أتيتم الصلاة فعليكم بالسكينة فما أدركتم

أدركتم فصلوا ، وما فاتكم فأتموا) فالمريد يأخذ من هذا الأمر بمقتضى مشربه أن يأتي الصلاة فارغ البال من جميع الخواطر ، سوى ما قام به للحصول على غايته من خروجه من بدء السكينة ، مصاحبا لها الى الاطمئنان بالحصول عليها ، بحيث يكون في حالة تلبسه بتطلب أدائها ، غير مشوش عليه بشيء قد استغرق الفكر في حق ، فانتهض مع اطمئنان القلب بامتثال أمر مولاه الذى دعاه لمناجاته ، فيقوم بالواجب طبق المطلوب ليظفر به بسكينته ووقاره ، فيكون بهذه الحالة مقيما للصلاة ، وما كل مصل بمقيم ، وذلك من أثر ثبوت الايمان ورسوخه في قلبه ، فان الاطمئنان التام بالحصول على كمال الايمان هو السكينة المنزلة في قلوب أهلها من روح القدس ، فيكون المتلبس بهذه الحالة منقادا للحق بحبل الانعان ، بتسليم تام لما نزل به ، غير مقاوم لما جرى به القدر . ومن هذا الباب ما أنشدنا الوارد :

سكونك تحت مجارى القدر — تنال به منك كل وطر
أتعرف من أنت أنت الذى — اذا قيل من أنت قيل بشر
فبشراك ان أنت فوضت في — أمورك للحق حكم القدر
فيسكن قلبك من جزع — تحرك مما لديك استقر
عليك السكينة قد نزلت — فلا تدفع الخير عنك بشر
فسكن بها ما تحرك من — عوالم تخفى بما قد ظهر
ومنك وفيك وعنك بدت — وهذى لعمرك احدى الكبر
لنفسك تنسب ما منك قد — بدا وبه عنك تنفي الغير
وللحق فيك بدت غيرة — عليها وعنك سناها استتر
عجبت وما عجبي هين — عليك وأنت بشر تنسر
فلا تركنن لركن الهوى — ففيه مهاو هوت في سقر
فان الهوى كيفما كان قد — رمى أهله دائما بشرر
فهذا يصاب به ظاهرا — وهذا به باطنا محتضر
وأهل السكينة في معزل — عن اللهو في سفر وحضر
وقد حكموا الشرع في نفسهم — ومن حكم الشرع فيه انتصر

واعلم أن السكينة على مراتب ، متنوعة المطالب ، وهي في كل مقام بحسبه ، ولذلك يختلف

مبدؤها

مبدؤها المفيا وغير المفيا، باطنيا كان أو ظاهريا، فبدء السكينة هو التوحيد الفطرى المحجوب بالبشرية، فكل مولود يولد عليه، بل كل مخلوق مجبول عليه، ولذلك يستدل به على موجده

وفي كل شيء له آية تدل على أنه الواحد

وفي الذكر الحكيم فسرت السكينة بحسب مواطن النزول، وعلى قدر قابلية من نزلت عليه، وأعظم سكينة في الوجود ما خص به الرسول عليه السلام. وانظر الى السر العظيم في تخصيصه عليه السلام بها في قوله تعالى (9 : 40 الا تنصروه فقد نصره الله اذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين اذ هما في الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا فأنزل الله سكينته عليه) فهذه سكينة لم يشاركه فيها غيره، مع ادراج صاحبه معه في معية الحق الخاصة في هذا الموطن الخاص، وهو خلوة خاصة بالرب لنبي مع صاحبه، فليس في الكون أبرك من هذه الخلوة الا خلوة انفراده عليه السلام بربه في الليلة التي تقدم فيها يخترق حجب الأنوار وحده، وترك خلفه جبريل فسمع هناك صوت هذا الصاحب الذى زالت به عنه الوحشة البشرية، واطمأن بالأنس بالله معه في ذلك الموطن الذى لم يحضر به هذا الصاحب بالشخص، تنويها بقدره في مرافقته في هذا الغار المحترم. وهناك سكينة اشترك المؤمنون فيها معه عليه السلام، ولكن بعد أن حاز الحظ الأوفر منها، وقد شملتهم بعد أن نزلت عليه، وهو من السر المأخوذ من قوله تعالى (9 : 26 ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنودا لم تروها) ومن قوله تعالى (48 : 26 اذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وألزمهم كلمة التقوى) وهناك سكينة خاصة بالمؤمنين بسببه صلى الله عليه وسلم، وقد عظمت مكانتها في القلوب، فتمت معرفتهم بالله بسببها، وقد امتن الحق على الأنصار بها في مبايعتهم لرسوله عليه السلام فقال تعالى (48 : 18 لقد رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم) وقال في حق المؤمنين مما يشمل الحاضرين معه عليه السلام ويشمل من بعدهم من سائر المؤمنين (48 : 4 هو الذى أنزل السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم). ولنزول السكينة علامات، ولها أحوال، ولك أن تعتبر الحالة التي قال فيها النبي صلى الله عليه وسلم لأسيد بن حضير لما أخبره أسيد بما

وقع

وقع له كما في الصحيح : اقرأ فلان ، فانها السكينة نزلت أو تنزلت للقرآن ، فقد شاهد عليه السلام ذلك المشهد العجيب بما استحضره عند اخبار أسيد له به ، وذلك أنه قرأ سورة الكهف في صلاته ، وفي الدار فرسه مربوطة فجعلت تجول وتنفر ، فسلم ورفع رأسه الى السماء فاذا سحابة غشيته ، فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال له ذلك ، وأمره بالقراءة ، والحال أنه أخبره عما وقع له ، فنزل الأمر منزلة الماضي ، فكأنه يقول له : كان ينبغي لك أن تسترسل في قراءتك لنزول السكينة عليك ، لكن في أمره مشاهدته عليه السلام للحالة العجيبة ، فاستزاد منه القراءة ، فكأنه معه في الحالة التي كان يقرأ فيها ، فاستزاده من القراءة . وبنزول السكينة يسكن القلب من الفزع من المخلوق ، ولربما كان الفزع سببا للسكينة . وقد أنشدنا الوارد هنا ، وهو مما لا بأس بذكره في هذا المقام :

سكن القلب بالفزع — بعدما كان في جزع
عرف الحق بعد ما — كان في الجهل قد وقع
فتخلى عن السوى — ولمولاه قد رجع
فحباه بفضله — ما به في العلى ارتفع
وأزال الحجاب عن — ماله في الحجا سطع
لم يزل تابعا له — في طريق قد اتسع
لم يجد في سلوكها — عن أمور بها انتفع
وهي عندي حقيقة — بدرها في العلى طلع
أيدتها شريعة — ولها الحق قد شرع
ليت شعري ما غيرها — لمريد الهدى نفع
والذي يهتدي بها — لأنوف الهوى جدع
وبما نال من هدى — عنه عين العمى انقشع
لم ير الحق باطلا — وعن الحق ما ارتدع
نزه الحق عن حلو — ل وفيه السوى وقع
فرأى الحق واضحا — وبمرآته انطبع
ليت شعري ما بال من — قلبه فيه متسع
كيف أمسى له الهنا — والى الحق ما رجع

لا

لا راه بسـاكــن ان يعش وهو في طمـع
انما العارف الـذى هـو للـه قد خضـع
وعليـه سـكـينـة نـزلت حينما اتضـع
فتمسـك بحبلـه فعسى تأمن الفـزع

وفي هـذا كفايـة لطالبي الاستفادة ، وبالله التوفيـق .

السؤال التاسع والعشرون : ما العـدل ؟

الجواب : هو اعطاء كل شيء ما استحقه حقيقته ، بحيث لو كشف عن الحقيقة الغطاء لراها كل ذى بصر لا تستحق غير ما هي عليه ممنوحة به ، ولا تطلب غير ما أعطى لهـا . فحقيقة السعيد لا تعطي غير السعادة ولا تطلب غيرها ، ولو كان السعيد في الظاهـر شقيا ، وحقيقة الشقي لا تعطي الا الشقاوة ولا تطلب غيرها ، ولو كان الشقي في الظاهـر سعيدا . وكذلك المرحوم لا يستحق الا الرحمة ، ولو كان في الظاهر معذبا ، والمعذب لا يستحق الا العذاب ، ولو كان في الظاهر مرحوما ، وهكـذا فالشقي والمعذب لم يعط غير ما استحق ، ولا تقبل حقيقته غير ما منـح ، فهو بمقتضى العدل لم يخرج عن حده المقدر له ، وان كان الحجاب المسدول عليه يقضي عليه بأن يظن أو يجزم بأنه عومـل بغير ما استحق ، فيعامل بمقتضى التأديب بزجره بين العالم ، زيادة في التنكيل بـه ، وفق ما تطلبه حقيقته التي جهلها ، ورام الخروج عنها بسوء الأدب ، كما وقع فيه اللعين ، فانه جهل ما تطلبه حقيقته التي لا تقبل غير الطرد ، فظن أنه لـم يسلك به الحق منهج العدل ، حيث أمر بالسجود ، فنسب الجور لربه بما أظهره من التظلم بأمره بالسجود لمن هو أحط منه رتبـة في نظـره :

ظـن اللعين بأنـه بين الورى أعلى وأرفع منصب مـن آدم
ولنفسه نسب الكمال بنفسـه وعليه قد طبـع الشقاء بخاتم
لو أنه للحق كـان مسـالمـا ما كـان بيـن الخلق غيره مسالم
لكن تكبـر فاستحق حقيقـة طردا بدعوى العلم بين العالـم

ومـا طرد الا بمقتضى العدل الذى لا يتصف به على الحقيقة غير الحق تعالى . وفي هذا المقام أملى علينا الوارد هذه الأبيات ، وهي من تتمـة الجواب :

من الكمال ظهور العدل والفضل وللكمال انتهاء العلم والعقل

فالعقل

فالعقل غايته توحيد خالقه وفيه يبلغ بين الخلق للعقل
وغاية العلم منهم من بلوغهم في جانب الحق حقا غاية الجهل
فا عجب لجهل به كمال معرفة للخلق بالحق وهو منهج الوصل
فالحق جل علاه ليس يدركه على الحقيقة ذو علم ولا عقل
فغاية العجز ممن صار يعرفه يقضي بادراك ما قد جل عن مثل
فانه الحكم العدل الذى انبهرت فيه النهى بعجيب الشد والحل
أحكامه انبرمت بسر حكمته في غاية العدل في وصل وفي فصل
أعطى الحقائق ما اقتضت بحكمته فكل شيء لديه غير مختل
من نفسها تطلب الأشياء ما كسبت في نفسها وجرت عليه في الأصل
لو تكشف الحجب عمن صار يبحث عن أسرارها لرآها طبق ما يجلي
لو لم يكن معطيا لها حقائقها ما سمي الحق حقا باسمه العدل

السؤال الثلاثون ،

ما فضل الأنبياء بعضهم على بعض ؟

الجواب : اعلم أولا أن فضل الأنبياء ، وفضل الرسل فيما بينهما ثابت ، قال تعالى (تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض) (2 : 260) وقال (ولقد فضلنا بعض النبيئين على بعض) وكل من ذكر منهم باسمه في الكتاب العزيز فهو نبي رسول ، من اقتدى بهم وتبعهم فاز في الدارين ، ومن أعرض عنهم خسر الدنيا والآخرة

ان فضل الانبيا في الأمم قد بدا كالنار فوق العلم
لم يكن جاحده غير الذى هو في الناس عن النور عمي
ويح من فاتوه في قومهم وهو عن قولهم في صمم
ثم أضحى وهو في أهوائه هائما من غفلة لم يقم
وغدا يعثر في أذياله اذ عراه دهش فيه رمي
قال مع أمثاله لما رأو هم غدوا عنهم وهم في ندم
أنظرونا نقتبس من نوركم نحن صرنا بعدكم في ظلم
ماله معهم ولا من معه من أمان بين كل الأمم
يا لها من حسرة فيها غدوا بانتهاك منهم للمحرم

فبعد

فبعد انتقال الأنبياء لم ينفع من كان معاصرا لهم، ومات على جحوده لهم شيء، فأما من تأخرت وفاته عن وفاتهم، وتاب ودخل في حزب من آمن بذلك النبي، أو نبي آخر في عصره أو بعده، فهو وان فاته خير كثير بعدم مسارعته لتصديق النبي الأول، فان ايمانه بعده ينفعه، ولا يعد مؤمنا حتى يصدق ذلك النبي بواسطة النبي الذى انقاد اليه، أو حصلت توبته فانقاد الى التصديق برائد التوفيق. أما من أصر على عناده فكفاه ما فقده من رشاده. واعلم ثانيا أن الشيء الذى فضلوا به هو سر خصوصي بين الأفضل وبين النبي الآخر، وذلك السر يظهر بمزايا عددت لبعضهم في مقام التنويه. وهاهنا أملى علينا الوارد في معنى ما تقدم هذه الأبيات:

فضل النبيئين فيما بينهم حسب الـــكتاب اذ فيه ذاك الفضل قد حسبا

لو لم تبينه آيات مبينة ... ما ميز القوم في تفضيلهم رتبا

حسب الموفق في تفضيل بعضهم ... بعضا وقوف على فضل لهم نسبا

تفصيل تفضيلهم منهم نحصله ... وليس عن غيرهم يرويه من طلبا

والله قد قال فضلنا وفضلهم ... عن عقلنا من كمال نورهم حجبا

في الأنبياء وفي الرسل الكرام أتى ... وما أتانا به نلازم الأدبا

فليس يبحث عن نفس الذى فضلوا ... وسر فضلهم في الكتب ما كتبا

وقد أشار الكتاب في تنوع ما ... حازوا لسر من المولى لهم وهبا

فآدم سجدت له ملائكة ... وفي أبوته فضل له وجبا

وكلم الله موسى في خليقته ... ولابن مريم آيات لها انتدبا

وكم مزايا بها قد خص غيرهم ... فجل مقدارهم بها الذى الأدبا

والمصطفى خير كل الخلق أفضلهم ... بما به فاق في عد اذا حسبا

صلى [redacted] الاله عليهم في نبوتهم ... ومن لهم في سلوك نهجها صحبا

أما النبوة في حد ذاتها فلا تتفاضل، وكذلك الرسالة، والرسالة في المقام أرفع قدرا من خصوص النبوة لعموم الرسالة. وهناك ولاية خصوصية في ضمن الرسالة والنبوة، وهي من سر النبي والرسول، فلا يطلع عليهما غير من خص بها، وهذه الولاية لا أعلى منها في حضرات التداني، ومكانة القرب من الحق، وهي من خصائص الرسالة، وخصائص النبوة على قدر ما خص به أهلها، ومن هذه الحيثية فضلها من فضلها على الرسالة،

فضلا

فضلا عن النبوة ، وليس المراد بها الولاية العمومية ، وانما الكلام في التوازن بين ولاية الرسول ورسالته فيحتاج هنا الى مزيد تثبت ، واعطاء المقام حقه من الأدب مع الانبياء عليهم السلام ، حتى لا يقع الخائض في هذا البحر العميق فيما لا تحمد عقباه ، فلنكف عنان القلم عن الزيادة في هذا الموضوع ، ولنقتصر على ما أملاه علينا الوارد فقلنا :

ان النبوة لا يجزأ فضلها والفضل ما قد حاز منها أهلها

عظمت مكانتها ولكن في العلا والفضل فوق الشمس حل محلها

ما فوقها الا الرسالة وهي في رتب المعالي والمعارف أصلها

لولا النبوة لم تتم رسالة وأجل من نالوا النبوة رسلها

وبها تميزت الولاية في تنوعها وقد وضحت لدينا سبلها

والفضل في الأشخاص من جهة ومن أخرى به الأسرار تظهر كلها

ان المعارف في الترقي في المعالي في المعاني قد تنوع حملها

من نفس أنفاس النبي على السوى مما به قد خص يعظم فضلها

ولما لديه من الخصوصية اختفى عنا التفاضل في علا لم نعلها

لو لم يبين ذو النبوة فضله عن غيره ما انحل فينا قفلها

فالى النبي رجوعنا في حل ما هو مجمل منها وما هو مثلها

سر النبوة في خزانة سر أهل الله ليس يحل منهم حلها

فالمسئول عنه متنوع ، وسره الى حضرة القدس يرجع ، وليس لأمثالنا في بيان أكثر من هذا مطمع ، وفيه بحول الله للمستفيد مقنع ، وحول هذا يدندن السائل ، لتحققه بأنه لا يمكن افشاء سر الخصوصية بأوضح مما بيناه ، والله يقول الحق وهو يهدى السبيل .

السؤال الواحد والثلاثون : كيف صفة المقادير ؟

الجواب : اعلم أن المقادير جمع مقدار ، وهو مقياس الشئ الذى يشمل الذات وصفاتها من سائر المخلوقات ، فكل مخلوق له مقدار قبل وجوده ، وفي حال الوجود وبعده ، وهو في الأحوال الثلاثة لا خروج له عما قدر له في كل ما جرى به القدر في أم الكتاب ، أم ما برز في لوح المحو والاثبات ، وهو غاية ما يطلع عليه أصحاب الكشف الصحيح ، فقد يتخلف صدوره لعالم الشهادة بسبب من الأسباب التي لم يطلع عليها المكاشف مثل الدعاء ، فانه ورد أنه يرد القضاء ، والمراد بالقضاء ما ارتسم في اللوح المذكور ، سواء

ظهر

ظهر في صورة المنبرم المتحتم الوقوع، أو ظهر بغير هذه الصفة. أما ما عند الحق فلا يظهر أمره الا بوقوعه، فاللوح المحفوظ في هذا الملحظ عبارة عما برز من عالم الغيب وظهر في عالم الشهادة، وأهل الكشف يرون ما برز في أول بروزه على قدر ما لهم من التمكن في الكشف، كالمشاهد للأشخاص البعيدة، فمن الناس من يراها ويميز بين أعيانها وصفاتها من بعد، ومنهم من لا يرى الا الأشخاص من غير صفة، وربما لا يراها الا اذا قربت منه. فالأشياء المقدرة من ذات أو عرض من صفة ثابتة أو غير ثابتة، وهي المقدور عليها لا تخرج عن مقاديرها المنوطة بها في أم الكتاب، فقد علمت حكمه، ولذلك يسأل اللطف فيها كما قال الشافعي رضي الله عنه في دعائه: اللهم يا لطيف نسألك اللطف فيما جرت به المقادير، وهي هنا في حكم الاقدار التي يمكن تخلفها، وأما ما لا يتخلف فهو المشار له بالحديث (جف القلم بما آنت لاق) وفيه أيضا (جف القلم، وطويت الصحف) فالمقادير كلها متصفة بالوجود الدائم، وبالعدم الدائم، لأنها مكسوة بحلية المعلوم للحق، فالعلم القديم أكسبها ما هي عليه من الوصف بالضدية:

أنت في العلم مقرر — وبك العقل تحير
أنت حق أنت خلق — أنت للأنوار مظهر
أنت مجهول ولكن — أنت معلوم مقدر
ليت شعري وشعوري — بك ما شأنك يبهر
تكتم السر وما فيك غدا من فيك يظهر
ما أرى دعواك الا — من دعا ولا تصور
أنت ما تفعل معرو — ف ولكن منك منكر
أين هذا السر حتى — لا أرى ما قلت يستر
أنت شيء غير شيء — أنت شيء لا يغير
هذه حالك لاكن — كشف معناها تعذر
لا ترى عينك عيني — بل أنا أنت وأكثر
ستر الأمر علينا — عجبا كيف تستر
ونرى الحق عيانا — ليت شعرى كيف ينكر

ولهذا فلا يسأل عن كيفية صفة المقادير الا باستفهام انكارى على جهة التعجب ممن

يريد

يريد الكشف عن الحقيقة ، فسؤال الحكيم عنه انما هو من باب الاختبار لمن ألقي عليه ، والله يقول الحق وهو يهدى السبيل .

السؤال الثاني والثلاثون

ما سبب علم القدر الذى طوى عن الرسل فمن دونهم ؟

الجواب : لا سبب في علم القدر الا القدر ، والقدر لا يخرج عما سبق به العلم ، ولا يعلل علم الحق بشيء ، لأنه غير مسبوق بشيء ، فغاية وصول معرفة الخلق من ذات الحق الحيرة في الكنه ، ولو علم العارف ما علمه ، وعرف ما عرفه ، وغرف من بحر المعرفة ما غرفه ، فهو دون الرسل في المعرفة ، بل دون الأنبياء فيها ، ولو كشف الغطاء عن العارف لرأى ما بعد الموت ، هو ما كانت روحه تعلمه قبل دخولها في تطوراتها الجثمانية ، وأدوارها الروحانية ، فهي عالمة بالنشأة الأولى الآن ، ولكن خفي عنها المآل بعدما سجنت في قفص هذا الجسم ، وما زالت النفس في هذا القفص الا وهي مهددة بسوط تربية الحق ، حتى لا تتكل على ما لديها من العلم ، فان علم الخاتمة عنها مغيب ، حتى يطلق سراحها فترى حقيقتها طبق الواقع الذى لا تزال فيه في نعيم مقيم ، أو عذاب مستديم ، ولقد أرشد الحق الخلق ، وبالغ المرسلون في التحذير من الغرور ، وما قصروا في تذكير من أرسلوا اليهم . ومن الآيات القرآنية في كشف ما تحت هذا السؤال في حملها على التعميم بعد التخصيص ، وتخصيصها في هذا المقام باشارة عرفانية بعد التعميم قوله تعالى (56 : 63 – 65 نحن قدرنا بينكم الموت وما نحن بمسبوقين على أن نبدل أمثالكم وننشئكم فيما لا تعلمون ولقد علمتم النشأة الأولى)

الموت فيه حياة ما بعدها من ممات
وموجب الموت حقا وجود هذا الحياة
لو لم يك الموت ما كا نت سائر الكائنات
لو لم نكن في وجود لم نرم في العدمات
عدمنا عرضي بل كوننا فيه ذاتي
فاعجب لهذا وهذا وكن به في ثبات
فأنت ما أنت لما حزت كمال الصفات
قد حزت ما أنت فيه بالحق لا بافتيات

لو

لو لم تكن مستحقا ما كنت تأتي
وما دعتك صفات ولا وجدت بذات
فكن كما كنت واشرب صرفا وهاك وهات
فما لدى حياة بغير ماء الحياة
ما الشكر في غير سكرى بها لطيب حياتي
والسكر ما طاب عندى الا برغم وشاتي
وليس سكرى حراما في هذه الحضرات

فالسبب المسئول عنه غير معروف للخلق على الحقيقة ، وانما حام حوله من رأى المعلومات تعطي من نفسها العلم للعالم بها ، فهي نفس السبب من غير اطلاع على علم القدر . والله يقول الحق وهو يهدى السبيل .

السؤال الثالث والثلاثون : لأى شيء طوى ؟

الجواب : قد تقدم في الجواب عن السؤال قبل هذا عما هو بسبب علم القدر ، والسبب مجهول ، وعلمه غير معقول ، والنهي عن البحث عنه منقول ، فلم يبق الا السؤال عن السر في طيه عن الخلق . أما سر القدر فقد يكشف الحجاب فيه عن بعض المقادير التي انكشف الحجاب عنها ، لا على ما هي عليه في علم الحق ، فان ذلك لا يقع لأحد أبدا ، لأن العلم القديم لا تحمله آنية الحادث ، ولا يمكن استكشافه بأى شيء ، وحسب العقول التحير أمام هذا المبحث ، وكل ما نقل من ذلك ، أو أدركه العقل ، فهو بعض أسرار ظهرت من حضرة المقادير ، لا من سائر الوجوه . أما علم القدر فقد طوى لأسرار يلوح بعضها من هذه الحضرات على قدر معرفة المطلع عليها ، ولا تجد عارفا يحوم حول الاستطلاع على علم القدر ، ولا يطلب الاطلاع عليه ، ولا يخوض فيه الا جاهل ، قد تعدى طوره . ولعل الحكيم امتحن بهذا السؤال الخائض في بحر المعارف ، ليعرف ما عنده من الدعوى ، فيفتضح أمره بالجواب الباطل ، أو يقع التنبيه عليه بأنه لا يمكن البحث فيه ، ليتحقق بهذه المعرفة الجاهل . ولولا طي هذا العلم عن المكلفين لتعطلت الشرائع بالتمسك بحبل الحقيقة ، المسدول عليه حجاب الستر الذى لا يرفع الا بعد الانتقال من دار الدنيا ، ولا يظهر من هذه الحقيقة الا بعضها للمستدل عليه من المحتجبين على الحق من الخلق ، وتعالى مولانا أن يحتج عليه المخلوق فيما أقامه

أقامه فيه، بعدل لا جور فيه، وله جل علاه الحجة البالغة، ولا يلزم من الاطلاع على سر بعض المقدرات تحصيل علم القدر

عنا انطوى علم القدر والخوض فيه من الخطر
ميدانه فيه العقول غدت تدحرج كالأكر
مهما ترم تحصيله رميت بشر في البشر
فتعود حائرة بما اضطربت به منها الفكر
ان السلامة منك في التسليم فيه الى القدر
لا لا تقاومه فما أحد عليه قد قدر

والبحث عن استحقاق الحقائق الثابتة في العلم لمظاهرها بتدبير البديع الحكيم، مع اقتضاء الذات المقدسة للعلم بعد دفع معرة الجهل عنها، مع البحث عما وراء ذلك كله، هو من علم القدر، فلا يليق بالعبد أن يتطلبه، وانما هو مأمور بالتسليم، مع العلم بأن كل شيء بقضاء وقدر، لا محيد عنهما ولا مفر، وبالله التوفيق.

السؤال الرابع والثلاثون: متى يكشف لهم سر القدر ؟

الجواب: ينكشف للعامة بعد نزول الأمر المقدر، ووقوعه باستلفات نظر الموفق لحسن عاقبة الرضى به، والتسليم للحق فيه، وينكشف للخاصة كذلك في خاصة أنفسهم وفي غيرهم قبل النزول وبعده، فهم مطمئنون في سائر الأحوال، لا ينزعج أحدهم الا في الموطن المستحق للانزعاج، في اظهار الفاقة والاحتياج، مع اطمئنان الصدر وانشراحه بما وقع، ويزداد انشراحا بما يحصلون عليه من السر الناتج عن نزوله، وهم في كشف الحجاب عنه بحسب رسوخ قدمهم في المعرفة بربهم الذى قدروه حق قدره، وعرفوا السر الذى لا يزال مرتبطا بحبل القدر، خيره وشره، حلوه ومره، ولا تسأل عما يحصل عليه العارف من اللذة بالرضى والتسليم عندما ينزل بساحته، أو ساحة غيره، بتخصيص أو تعميم، ولا يزال يترقى في معرفته به، بما وفقه الحق اليه، من القيام بحق العبودية الاضطرارية والاختيارية بالتقرب اليه، بأداء ما افترضه عليه، والزيادة من النوافل، حتى يصير الحق سمعه وبصره، فيرى بعينه وجه ذلك السر، ويسمع به ما يسمع، فيقوم مقام الحق، ويقوم لا الحق مقامه، على وفق ما يناسب جانب الحق، من التنزيه عن الاتحاد والحلول. ففي الحديث القدسي (من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب الي عبدى بشيء أحب

الي

الي مما افترضته عليه ، ولا يزال عبدى يتقرب الي بالنوافل حتى أحبه ، فاذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به ، وبصره الذى يبصر به) الى آخر الحديث الشريف . وتنكير الولي فيه اشارة الى أن الأولياء لا يعرفهم كل أحد ، فلا ينبغي معاداة من والاه الحق باستعماله في عبادته ، ولا معاداة من والى الحق بالانتساب اليه ، فلا يتجاسر على معاداة من تولى الحق أموره الا مخذول ، ولو بدعوى التقرب الى الحق ، في نهي المنكر الصادر من هذا الولي ، على زعم هذا المنكر ، فان طرق التقرب الى الله كثيرة ، والسلوك عليها أولى من التقرب بمعاداة أولياء الحق ، فالأولى بالمنكر عليهم أن يتقرب الى الله بأداء الفرائض ، والاكثار من النوافل ، كما أن الولي هو الذى تقرب الى الحق بأداء ما افترضه عليه ، وازداد تقربا منه بالاكثار من النوافل . فكثير ممن ينكرون على الأولياء ويعادونهم ، ان صلحت نيتهم لا يصدر منهم النكير الا تقربا للحق بنصر الشريعة والضرب على يد السالكين بالانحراف في نظره في الطرق الشنيعة . وما نظر الى ما يشير اليه هذا الحديث من أن أفضل ما يتقرب به المتقربون للحق هو أداء الفرائض ، والاكثار من النوافل ، ولكن جرت عادة الله في المنكرين على أولياء الله أن يتهاونوا بالفرائض ، فضلا عن النوافل ، فلا ترى منهم الا طبيبا يداوى الناس ، وهو عليل ، والله يقول الحق وهو يهدى السبيل .

السؤال الخامس والثلاثون

أين يكشف لهم ، ولمن يكشف سر القدر منهم ؟

الجواب : اعلم أيها المطالع لهذه الأجوبة اني بمجرد ما كتبت هذا السؤال بقصد كتب ما يرد علينا من باب الفتح اللدني ، وقف أمامي الوارد وأنشد قائلا :

قف واستمع ما عليك يملى ... اياك اياك أن تملا
فقد دعتني هنا دواع ... لتترك ما رمت فيه اصلا
قالت وفي الحق لا أمارى ... قولك للحق لن يملا
قف هاهنا ولتكف عما ... بقي مما عليك يملى
فأنت حقا شرحت صدرا ... بما به قد أنرت عقلا
فيما مضى هاهنا تبدت ... أجوبة بدرها تجلى
كشفت فيها من المعاني ... ما القلب منا به تسلى

فما

فما بـه جئتنا كفانـا   حيث بـه قد فتحت قـفلا
فليس يحتاج بعد هـذا   الى الزيادات فيـه أصلا
وقد رأى الناس منـك هذا الـجواب ما احتجت فيه نقلا
طبق اقتراح نهضت فيه   بواجب جيـده تحلى
غزلت غزلا لنا رقيقا   بمغزل فقت فيه مثلا
لا زلت تهدى بنهج رشد   و زادك الله منـه فضلا

ولقد حبست عنان القلم عن الزيادة في الجواب عما بقي من الاسئلة امتثالا للوارد ، و فهمت عن الله في ترك ذلك ، حتى لا أكون خائضا في هذا البحر بنفسي ، مع أني أرى ما بقي واضحا وعلى نسق ما تقدم ، عزمت أن أكون لمغلقه فاتحا ، وكنت حريصا على أن يكون في املاء أجوبة جميع هذه الاسئلة مقنع ، وعلى يدى حجاب سترها بتوفيق الله يرفع ، ولكن أقول ، وحظ النفس علي يصول :

ما كل ما يتمنى المرء يدركه   تجرى الرياح بما لا تشتهي السفن

ولقد وددت أن لو أتممت هذه الأجوبة حتى لا يقال : عجزنا عن الوفاء بما وعدنا به ، وان كان لا يضرنا العجز عن كتب جواب ما بقي بعد تحققنا بما شاهدناه بفضل الله في هذه الطريقة الأحمدية ، من الانوار المحمدية ، وذلك من فضل الله علينا وعلى الاخوان . وآخر ما قيل لي : هل أنت ختم حتى تهمك الأجوبة عن هذه الاسئلة التي صرت بها تهتم ؟ على أنه بفضل الله قد بدا فيك سر الختم ، فطب نفسا يا أحمد ، ولربك فاحمد ، فلم يفدني الا الوقوف في هذا المقام قائلا : رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي ، وعلى والدى وأن أعمل صالحا ترضاه وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين) (ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين) سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين . كتب عام 1352 هـ

يقول ولد المؤلف عبد الكريم ، عفا الله عنه : قد ظهر لي ـ [redacted] ـ أن أنقل هنا أسئلة الحكيم الترمذى ، وأسئلة الشيخ سيدى محمد الكتاني التي جردها والدى ، رحمه الله ، بخطه في غير هذا المحل ، وذلك اتماما للفائدة ، ونصها :

الحمد لله وحده

تجريد أسئلة الحكيم الترمذى من الفتوحات المكية للامام ابن عربي ـ قدس سره ـ وهي على الترتيب :

السؤال الأول : كم عدد منازل الأولياء ؟

السؤال 2 أين منازل أهل القربة ؟

السؤال 3 ان الذين حازوا العساكر ، بأى شيء حازوها ؟

السؤال 4 الى أين منتهاهم ؟

السؤال 5 قد عرفنا أينية منازل أهل القربة ، وأينية منتهى العساكر ، ومنتهى من * حازها ، فأين مقام أهل المجالس والحديث ؟

السؤال 6 كم عددهم ؟

السؤال 7 بأى شيء استوجبوا هذا على ربهم تبارك وتعالى ؟

السؤال 8 ما حديث أهل هذه المجالس ونجواهم ؟

السؤال 9 بأى شيء يفتتحون المناجاة ؟

السؤال 10 بأى شيء يختمونها ؟

السؤال 11 بماذا يجابون ؟

السؤال 12 كيف يكون صفة سيرهم الى هذه المجالس ، والحديث ابتداء ؟

السؤال 13 من الذى استحق أن يكون خاتم الأولياء ، كما استحق محمد صلى الله عليه وسلم خاتم النبوة ؟

السؤال 14 بأى صفة يكون ذلك المستحق لذلك النعت ؟

السؤال 15 ما سبب الخاتم وما معناه ؟

السؤال 16 كم مجالس ملك الملك

السؤال 17 بأى شيء حظ كل رسول من ربه ؟

السؤال

السؤال 18 أيـن مقام الرسل من مقـام الأنبيـاء ؟
السؤال 19 أيـن مقـام الأنبيـاء من الأوليـاء ؟
السؤال 20 أى اسـم منـحه من أسمـائـه ؟
السؤال 21 أى شـيء حظوظ الأولياء من أسمائـه ؟
السؤال 22 أى شـيء عـلـم المـبـدأ ؟
السؤال 23 ما معنى قوله عليه السلام (كان الله ولا شيء معـه)
السؤال 24 مـا بـدء الأسـمـاء ؟
السؤال 25 مـا بـدء الـوحـي ؟
السؤال 26 مـا بـدء الـروح ؟
السؤال 27 مـا بـدء السكيـنـة ؟
السؤال 28 مـا الـعـدل ؟
السؤال 29 ما فضل النبيئين بعضهم على بعض، وكـذلك الأوليـاء ؟
السؤال 30 خـلق الله الخلـق في ظلمـة
السؤال 31 مـا قصتهم هنـاك، يعني قصـة المخلوقيـن ؟
السؤال 32 وكـيـف صـفـة المـقـاديـر ؟
السؤال 33 ما سبب علم القدر الذى طوى على الرسـل، فمـن دونهم ؟
السؤال 34 لأى شـيء طـوى ؟
السؤال 35 متى ينكـشف لهم سـر القـدر ؟
السؤال 36 أيـن يكـشـف لهـم ؟
السؤال 37 ولمـن يكشـف سـر القـدر منـهم ؟
السؤال 38 مـا الاذن في الطاعة والمعصية مـن ربنـا جل وعـلا ؟
السؤال 39 وما العقل الأكبر الذى قسمت العقول منه لجميع خلقـه ؟
السؤال 40 مـا صـفـة آدم عليـه السـلام ؟
السؤال 41 مـا تـوليتـه ؟
السؤال 42 مـا فـطرتـه، يعني فطرة آدم أو الانـسـان ؟
السؤال 43 مـا الفـطـرة ؟

السؤال

السؤال 44 لم سماه بشرا ؟

السؤال 45 بم نال آدم التقدمة على الملائكة ؟

السؤال 46 كم عدد الأخلاق التي منحه عطاء ؟

السؤال 47 كم خزائن الأخلاق ؟

السؤال 48 ان لله مائة وسبعة عشر خلقا ، ما تلك الأخلاق ؟

السؤال 49 كم للرسل سوى محمد صلى الله عليه وسلم منها

السؤال 50 وكم لمحمد صلى الله عليه وسلم منها ؟

السؤال 51 أين خزائن المنن ؟

السؤال 52 أين خزائن سعي الأعمال ؟

السؤال 53 من أين تعطى الأنبياء ؟

السؤال 54 أين خزائن المحدثين من الأولياء ؟

السؤال 55 ما الحديث ؟

السؤال 56 ما الوحي ؟

السؤال 57 ما الفرق بين النبيئين والمحدثين ؟

السؤال 58 وأين مكانهم منهم ؟

السؤال 59 أين سائر الأولياء ؟

السؤال 60 ما خوض الوقوف ؟

السؤال 61 كيف صار أمره كلمح البصر ؟

السؤال 62 ما أمر الساعة كلمح البصر أو هو أقرب ؟

السؤال 63 ~~ما كلامه للموحدين~~ ؟ما كلام الله تعالى لعامة أهل الوقوف ؟

السؤال 64 ما كلامه للموحدين ؟

السؤال 65 ما كلامه للرسل ؟

السؤال 66 الى أين يأوون يوم القيامة من العرصة

السؤال 67 كيف تكون مراتب الأنبياء والأولياء يوم الزيارة ؟

السؤال 68 ما حظوظ الأنبياء من النظر اليه ؟

السؤال 69 ما حظوظ المحدثين من النظر اليه ؟

السؤال

السؤال 70 مـا حظوظ سائر الأولياء من النظر اليه ؟

السؤال 71 مـا حظوظ العامـة من النظـر اليـه ؟

السؤال 72 ان الرجل منهم ينصرف بحظه من ربه ، فيذ هل أهل الجنان عـن نعيمهم اشتغالا بالنظـر اليـه ؟

السؤال 73 مـا المقـام المحمـود ؟

السؤال 74 بـأى شيء نـالـه

السؤال 75 كم بين حظ محمد صلى الله عليه وسلم وحظوظ الأنبياء عليهم السلام ؟

السؤال 76 مـا لـواء الحمـد ؟

السؤال 77 بأى شيء يثـني على ربه حتى يستوجب لواء الحمـد ؟

السؤال 78 بمـا ذا تقدم الى ربـه من العبوديـة ؟

السؤال 79 بأى شيء يختمه حتى يناوله مفاتيـح الكـرم ؟

السؤال 80 مـا مفـاتيـح الكـرم ؟

السؤال 81 عـلى مـن توزع عـطايا ربـنـا ؟

السؤال 82 كـم أجـزاء النـبـوة ؟

السؤال 83 مـا النـبـوة ؟

السؤال 84 كـم أجـزاء الصديقيـة ؟

السؤال 85 مـا الصـديقيـة ؟

السؤال 86 عـلى كـم سهـم بنيت العبوديـة ؟

السؤال 87 مـا يقتـضي الحق من المـوحديـن ؟

السؤال 88 عـن الحـق المقتـضي مـا الحـق ؟

السؤال 89 ومـا ذا بـدؤه ؟

السؤال 90 أى شيء في الخلـق ؟

السؤال 91 و بمـا ذا وكـل ، يعني الحـق ؟

السؤال 92 ومـا ثمرتـه ، يعني فيمن حكم به من الخلفـاء ؟

السؤال 93 ومـا هـذا المـحق ؟

السؤال 94 فـأيـن محل من يكـون محقـا ؟

السؤال 95 ما سكينة الأولياء ؟
السؤال 96 ما حظ المؤمنين من قوله (الأول والآخر، والظاهر والباطن ؟)
السؤال 97 ما حظ المؤمنين من قوله (كل شيء هالك الا وجهه) ؟
السؤال 98 كيف خص ذكر الوجه ؟
السؤال 99 ما مبدأ الحمد ؟
السؤال 100 ما قوله : آمين ؟
السؤال 101 ما السجود ؟
السؤال 102 وما بدؤه ؟
السؤال 103 ما قوله (العزة ازارى ؟)
السؤال 104 ما قوله (والعظمة ردائي ؟)
السؤال 105 ما الازار ؟
السؤال 106 وما الرداء ؟
السؤال 107 ما الكبرياء ؟
السؤال 108 ما تاج الملك ؟
السؤال 109 ما الوقار ؟
السؤال 110 وما صفة مجالس الهيبة ؟
السؤال 111 ما صفة ملك الآلاء
السؤال 112 ما صفة ملك الضياء ؟
السؤال 113 ما صفات ملك القدس
السؤال 114 ما القدس ؟
السؤال 115 ما سبحات الوجه ؟
السؤال 116 ما شراب الحب ؟
السؤال 117 ما كأس الحب ؟
السؤال 118 من أين عين الاختصاص ؟
السؤال 119 ما شراب حبه لك حتى يسكرك عن حبك له ؟
السؤال 120 ما القبضة ؟

السؤال

السؤال 121 من الذين استوجبوا القبضة حتى صاروا فيها ؟

السؤال 122 ما صنيعه بهم في القبضة ؟

السؤال 123 كم نظرته الى الأولياء في كل يوم ؟

السؤال 124 الى ما ذا ينظر منهم ؟

السؤال 125 الى ما ذا ينظر من الأنبياء عليهم السلام ؟

السؤال 126 كم اقباله على خاصته في كل يوم ؟

السؤال 127 ما المعية مع الخلق والأصفياء والأنبياء والخاصة والتفاوت والفرق بينهم في ذلك ؟

السؤال 128 ما ذكره الذى يقول (ولذكر الله أكبر ؟)

السؤال 129 قوله تعالى (فاذكروني أذكركم) ما هذا الذكر ؟

السؤال 130 ما معنى الاسم ؟

السؤال 131 ما رأس أسمائه الذى استوجب منه جميع الأسماء ؟

السؤال 132 ما الاسم الذى أبهم على سائر الخلق الا على خاصته ؟

السؤال 133 بم نال صاحب سليمان ذلك وطوى عن سليمان عليه السلام ؟

السؤال 134 ما سبب ذلك ؟

السؤال 135 على ما ذا أطلع من الاسم على حروفه أو معناه ؟

السؤال 136 أين بان هذا الاسم الخفي على الخلق من أبوابه ؟

السؤال 137 ما كسوته ؟

السؤال 138 ما حروفه ؟

السؤال 139 والحروف المقطعة مفتاح كل اسم من أسمائه ، فأين هذه الأسماء ؟ واتفاهي ثمانية وعشرون حرفا ، فأين هذه الحروف ؟

السؤال 140 كيف صار الألف مبتدأ الحروف ؟

السؤال 141 كيف كرر الألف واللام في آخره ؟

السؤال 142 من أى حساب صار عددها ثمانية وعشرين حرفا ؟

السؤال 143 ما معنى قوله (خلق آدم على صورته ؟)

السؤال 144 ليتمنين اثنا عشر نبيا أن يكونوا من أمتي ؟

السؤال

السؤال 145 ما تأويل قول موسى عليه السلام (اجعلني من أمة محمد عليه السلام؟)

السؤال 146 ان لله عبادا ليسوا بأنبياء يغبطهم النبيئون بمقاماتهم وقربهم الى الله تعالى

السؤال 147 ما تأويل قول (بسم الله) ؟

السؤال 148 ما قوله (السلام عليك أيها النبي) ؟

السؤال 149 ما قوله (السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ؟)

السؤال 150 أهل بيتي أمان لأمتي ؟)

السؤال 151 ما قوله (آل محمد ؟)

السؤال 152 أين خزائن الحجة من خزائن الكلام ،من خزائن علم التدبير؟)

السؤال 153 أين خزائن علم الله من خزائن علم المبدع ؟)

السؤال 154 ما أم الكتاب ،فانه ادخرها من جميع الرسل له ولهذه الأمة ؟

السؤال 155 ما معنى المغفرة التي لنبينا ،وقد بشر النبيئين بالمغفرة ؟

وبهذا السؤال تمت الأسئلة التي أجاب عنها الامام ابن عربي – قدس سره – في الفتوحات المكية .

الحمد لله وحده

تجريد أسئلة الشيخ الكتاني في كتابه المسمى (خبيئة الكون) وهي على الترتيب طبق ما ذكره هناك

السؤال الأول : كم عدد منازل الأولياء ؟

السؤال 2 كم منازل أهل القربة ؟

السؤال 3 ما معنى المساكر في ألفاظ الأكابر ؟

السؤال 4 ما معنى حيازتهم لها ؟

السؤال 5 الذين حازوا المساكر، بأى شيء حازوها ؟

السؤال 6 الى أين منتهاهم ؟

السؤال 7 قد عرفنا أينية أهل القربة، وأينية منتهى المساكر، ومنتهى من حازها، فأين مقام أهل المجالس والتحديث ؟

السؤال 8 كم عددهم ؟

السؤال 9 بأى شيء استحقوا على ربهم سبحانه، ومعلوم أنه لا يجب على الله شيء، ولكن هذا السؤال له التفات الى مسألة كلامية غامضة، وهي : هل العلم تابع للمعلوم، أو المعلوم تابع للعلم ؟

السؤال 10 ما حديث أهل هذه المجالس، وما نجواهم ؟

السؤال 11 بأى شيء يفتتحون المناجاة ؟

السؤال 12 بأى شيء يختمونها ؟

السؤال 13 بماذا يجابون ؟

السؤال 14 كيف يكون صفة سيرهم الى هذه المجالس والحديث ؟

السؤال 15 ومن استحق أن يكون خاتم الأولياء ؟

السؤال 16 بأى صفة يكون ذلك المستحق لذلك النعت؟ وقد استوفى صفاته الحقيقية في تأليفه المسمى (بالأمالي في علم الأمهات) ذكر فيه من العلوم عدد حروف محمد .

السؤال 17 ما سبب الخاتم ومعناه ؟

السؤال 18 كم مجالس ملك الملك ؟

السؤال

السؤال 19 فأى شيء حظ كل رسول من ربه ؟

السؤال 20 أين مقام الرسل من مقام الأنبياء ؟

السؤال 21 أين مقام الأنبياء من الأولياء ؟

السؤال 22 أى اسم منحوا من أسمائه ؟

السؤال 23 أى شيء حظوظ الأولياء من أسمائه ؟

السؤال 24 أى شيء علم المبدأ ؟

السؤال 25 ما معنى قوله عليه السلام (كان الله ولا شيء معه) ؟

السؤال 26 ما بدء الأسماء ؟

السؤال 27 ما بدء الروح ؟

السؤال 28 ما بدء السكينة ؟

السؤال 29 ما العدل ؟

السؤال 30 ما فضل الأنبياء بعضهم على بعض ؟

السؤال 31 كيف صفة المقادير ؟

السؤال 32 ما سبب علم القدر الذى طوى عن الرسل فمن دونهم ؟

السؤال 33 لأى شيء طوى ؟

السؤال 34 متى يكشف لهم سر القدر ؟

السؤال 35 أين يكشف لهم، ولمن يكشف سر القدر منهم ؟

السؤال 36 ما العقل الأكبر الذى قسمت العقول منه لجميع خلقه ؟

السؤال 37 ما صفة آدم عليه السلام ؟

السؤال 38 ما توليته ؟

السؤال 39 ما فطرة سيدنا آدم من حيث كونه انسانا، ومن حيث كونه خليفة، ومن حيث كونه خليفة وانسانا، ومن حيث لا لا، وهو سؤال له التفات قوى لسر آخر، وهو بم نال سيدنا آدم التقدم على الملائكة ؟

السؤال 40 كم عدد الأخلاق التي منحها ؟

السؤال 41 ما أسماؤها، وأعرف من عرفها تفصيلا ؟

السؤال 42 كم خزائن الأخلاق ، لا باعتبار اجمالها ، واعرف من عدد أصولها على عدد الأحكام الالهية المشتملة سورة البقرة ؟
السؤال 43 ان لله تعالى مائة وسبعة عشر خلقا ، ما تلك الأخلاق ؟
السؤال 44 كم للرسل سوى سيدنا محمد صلى الله تعالى عليه وآله وسلم منها ، وكم لسيدنا محمد منها ؟
السؤال 45 أين خزائن المنن ؟
السؤال 46 أين خزائن سعي الأعمال ؟
السؤال 47 من أين تعطى الأنبياء عليهم السلام ؟
السؤال 48 أين خزائن المحدثين من الأولياء ؟
السؤال 49 ما الحديث نفسه الذى جرى مرارا في الاسئلة ؟
السؤال 50 ما الوحي ؟
السؤال 51 ما الفرق بين النبيئين والمحدثين ؟
السؤال 52 أين مكانهم منهم ؟
السؤال 53 أين سائر الأولياء ؟
السؤال 54 ما خوض الوقوف ؟
السؤال 55 كيف صار أمره كلمح البصر ، وما أمر الساعة الا كلمح البصر أو هو أقرب ؟
السؤال 56 ما كلامه تعالى لأهل الموقف ؟
السؤال 57 ما كلامه للموحدين ؟
السؤال 58 ما كلامه للرسل ؟ والذى يقول : انه لا يمكن أن يوجد من يستقل بالولاية بعد أستاذه يلزمه أنه ما اطلع على ما في نفس الحق جل مجده ، وقد قال روح الله (تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك) فليلزمه أنه يقول : انه أرقى وأعلم من أولى العزم من الرسل . وأما ان مكائيل أرزاق امداد الخلائق بيده ، ولم يجد مكيالا أقوى من مخصوصين فنفاهم ، فلا يمكن أن يدعي هذه الدعوى العمومية ، وأنه لا يمكن يؤتى بولي مستقل الا أحد هذين : اما رجل اطلع على ما في نفس

نفس الحق ،واما رجل أوتي مكائيل الامداد على يديه . ولما سئل سيدنا موسى: هل تعلم أعلم منك ؟ قال :لا ،فقال تعالى: بل عبدنا الخضر أعلم منك ،فافهم . وليت شعرى من يجهل مراتب أهل بيت نبيه الكريم الذى محبتهم الخاصة ومواددتهم من ذاتيات الايمان وخالصة ،ولا يطلع عليها الا من استشرف على مقام القطبانية ،كيف يكون من أحد هذين الرجلين ،ومن لازم من يخوض هذا الخوض أن يقدر على الاستفاضة من روحانية الأكابر ، فيسألهم عن هذه الاسئلة ويأتي بالأجوبة عنها ؟

السؤال 59 أين يأوون يوم القيامة من العرصة ؟

السؤال 60 كيف تكون مراتب الأنبياء والأولياء يوم الزيارة ؟

السؤال 61 ما حظوظ الأنبياء من النظر اليه ؟

السؤال 62 ما حظوظ المحدثين من النظر اليه ؟

السؤال 63 ما حظوظ سائر الأولياء من النظر اليه ؟

السؤال 64 ما حظوظ العامة من النظر اليه ؟

السؤال 65 ما المقام المحمود، وما لواء الحمد ؟

السؤال 66 بأى شيء ناله ؟

السؤال 67 كم بين حظ سيدنا محمد صلى الله تعالى عليه وحظوظ سائر الأنبياء عليهم السلام ؟

السؤال 68 بأى شيء يثني على ربه جل أمره حتى يستوجب لواء الحمد، وبماذا تقدم الى ربه من العبودية ؟

السؤال 69 بأىشيء يختمه حتى يناوله مفاتيح الكرم ؟

السؤال 70 ما مفاتيح الكرم ؟

السؤال 71 ما الصديقية ؟

السؤال 72 على كم سهم بنيت العبودية ؟

السؤال 73 ما يقتضي الحق من الموحدين ؟

السؤال 74 ما سكينة الأولياء ؟

السؤال 75 ما حظ المؤمن قوله (الأول والآخر، والظاهر والباطن ؟)

السؤال 76 كيف خص ذكر الوجه في قوله (كل شيء هالك الا وجهه ؟)

السؤال 77 ما مبدأ الحمد ؟

السؤال 78 ما قوله (آمين ؟)

السؤال 79 ما السجود ؟

السؤال 80 ما بدؤه ؟

السؤال 81 ما قوله (العزة ازارى ؟)

السؤال 82 ما قوله (والعظمة ردائي ؟)

السؤال 83 ما الازار ؟

السؤال 84 ما الرداء ؟

السؤال 85 ما الكبرياء ؟

السؤال 86 ما تاج الملك، وما الوقار ؟

السؤال 87 ما مجالس الهيبة ؟

السؤال 88 ما صفة ملك الآلاء ؟

السؤال 89 ما صفة ملك الضياء ؟

السؤال 90 ما صفة ملك القدس ؟

السؤال 91 ما القدس ؟

السؤال 92 ما سبحات الوجه ؟

السؤال 93 ما شراب كأس الحب ؟

السؤال 94 من أين عين الاختصاص ؟

السؤال 95 ما شراب حبه لك حتى يسكرك عن حبك له ؟

السؤال 96 ما القبضة ؟

السؤال 97 من الذين استوجبوا القبضة حتى صاروا فيها ؟

السؤال 98 ما صنيعه في القبضة ؟

السؤال 99 كم نظرته الى أوليائه في كل يوم ؟

السؤال 100 الى ما ذا ينظر منهم ؟

السؤال

السؤال 101 الى ما ذا ينظر من الأنبياء عليهم السلام ؟
السؤال 102 كم اقباله على خاصته في كل يوم ؟
السؤال 103 كم لحظات الحقيقة الأحمدية للأنبياء في اليوم ؟
السؤال 104 كم نظراتها لخواصها في كل يوم ؟
السؤال 105 كم لحظات الحقيقة المحمدية في كل يوم للخلائق ؟
السؤال 106 كم يخص الخواص من ذلك ؟
السؤال 107 ما المعية مع الخلق والأصفياء والأنبياء والخاصة ؟
والتفاوت والفرق بينهم في ذلك ؟
السؤال 108 ما ذكره في قوله (ولذكر الله أكبر ؟)
السؤال 109 ما قوله تعالى (أذكروني أذكركم) ما هذا الذكر ؟ واليكم عني من أربعين تأويلا ذكروها في الآية الكريمة .
السؤال 110 ما معنى الاسم ؟
السؤال 111 ما رأس أسمائه الذى استوجب منه جميع الأسماء ؟
السؤال 112 ما الاسم الذى أبهم على سائر الخلق الا على خاصته ؟
السؤال 113 بم نال صاحب سيدنا سليمان ذلك، وطوى عن سيدنا سليمان عليه السلام
السؤال 114 ما سبب ذلك ؟
السؤال 115 على ما ذا اطلع من الاسم على حروفه أو معناه ؟
السؤال 116 أين باب هذا الاسم الخفي على الخلق من أبوابه ؟
السؤال 117 ما كسوته ؟
السؤال 118 ما حروفه ؟
السؤال 119 والحروف المقطعة مفتاح كل اسم من أسمائه ، فأين هذه الأسماء ، وانما هي ثمانية وعشرون حرفا ، فأين هذه الحروف ؟
السؤال 120 كيف صار الألف مبدأ الحروف ؟
السؤال 121 كيف كان الألف واللام في آخره ؟
السؤال 122 من أى حساب صار عددها ثمانية وعشرين حرفا ؟

السؤال

السؤال 123 هذه نقط الحروف لما لم تكن على عهد الصحابة الكرام جهل
نقص عنهم من العلم بالحروف المتؤاخية بقدر عدم وجدان النقط
اذ ذاك ، أو كانوا مستغنين عنها ؟
السؤال 124 وبم استغنوا عن النقط ؟
السؤال 125 ولأى شيء لم يقف الناس على ما كان عليه الصدر الأول فيها ؟
السؤال 126 وما بالنا لم ندرك من الحروف المتؤاخية ما أدرك منها الصحابة ؟
السؤال 127 وما هي الحروف المتواخية ؟
السؤال 128 ما وجه تآخيها ؟
السؤال 129 وهل تآخيها كتآخي أهل المواد الطبيعيات ، أم نحن أكشف ؟
وهم ألطف أو العكس ؟ أو منا ومنهم ، أو منهم ومنا ، وهي أربعة
أسئلة
السؤال 134 ما قوله (خلق الله آدم على صورته ؟)
السؤال 135 ليتمنين اثنا عشر نبيا أن يكونوا من أمتي ؟
السؤال 136 ما تأويل قول الكليم عليه السلام (اجعلني من أمة أحمد ، مع أنه
الاسم الذى كانوا يسقون منه اذ ذاك ، لأن المحمدية لا زالت لم
تظهر ، واذا لم يسقوا من جداول الأحمدية تفوتهم حظوظم من
الحضرات النبوية ؟
السؤال 137 ما أعرف المعارف في أسماء الله الحسنى عند الأنبياء ؟
السؤال 138 ما أعرف المعارف عند الأنبياء من الأسماء المحمدية ، ولم يكونوا
يعرفون اذ ذاك الا أحمد ، كما في الكتب الالهية والقرآن حاكيا
عنهم ؟
السؤال 139 مع هذا ولم يظهر التمنون عنه بأحمد الا عن عيسى عليه السلام ؟
السؤال 140 ما حظ الخليل والكليم و روح الله من هذه الحقيقة الأحمدية ؟
السؤال 141 مع معرفة الأنبياء به هذا التعريف ، كيف قال الكليم ليلة الاسراء :
ما كنت أظن أحدا ترفع عليّ حتى رفع علي هذا الغلام ؟
السؤال 142 كيف آثر التعبير عنه ليلة الاسراء بمحمد ، مع أن العالم عالم
الاحمدية

السؤال 143 الأحمديــة لا المحمديــة ؟

السؤال 143 كيــف قال في الحديث : فعلمت فضل جبريل علي في العلم في قضية كــركرى الطائــر ؟

السؤال 144 مــا سبب قوله في بدء الوحي : ما أنا بقارئ ، ما أنا بقارئ ، ما أنــا بقارئ ، وهو نبــي ، وآدم بين الروح والجسد ؟

السؤال 145 مــا أسماء الملائكة الذين هم على عدد شعب الايمــان ؟

السؤال 146 مــا رتبة آل البيت النبــوى من الصحابــة ؟

السؤال 147 مــا رتبتــهم من الأوليــاء ؟

السؤال 148 مــا رتبتهم بين أهل الموقف يوم القيامــة ؟

السؤال 149 مــا بداية أهل البيت من بدايــة الأكــابــر ؟

السؤال 150 أيــن نهاية أهل البيت من نهايــة الأكــابــر ؟

السؤال 151 مــا جــواهــر القــرآن ؟

السؤال 152 مــا الفرق بين نشئات الأنبياء والرسل حتى تعلم مكانتهم من ذلك ؟

السؤال 153 كــم من أصول الآداب القرآنيــة المحتمــة ؟

السؤال 154 كــيفية استخراج الألف من المسائل من أم الكتاب ، كما قال سيدنا علي : لو أذن لي رسول الله صلى الله عليه وسلم لوضعت على الفاتحة زهاء سبعيــن بعيــرا ؟

السؤال 155 مــا حقيقة قضية ابن الصياد مع مولانا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ، كيــف علم أنه خبــأ له سورة الدخان ، وقال : خبأت سورة الدخ ، مع أن في ذلك ايهامات على ضعفة العقول ؟ والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيــم .

قال صاحب هذه الاسئلة : وقد تركت من أسئلة الامام الحكيم الترمــذى نحوا من ثلاثيــن سؤالا ، لأنها اقناعيــة في الجملة ، وأبدلتها من عندنا بأزيــد من ثلاثيــن سؤالا .

انــتهــت مــن تخبيئــة الكــون

تقريظ العلامة الكبير الشيخ محمد ـ فتحا ـ بن احمد الرافعي الأزموري الجديدي لكتاب (قرة العين) في الجواب على أسئلة صاحب كتاب (خبيئة الكون) ونصه :

الحمد لله وحده ، وصلى الله وسلم على أكرم خلقه عليه مولانا رسول الله وعلى آله وصحبه وكل من والاه . وبعد : فانه لا شيء أعظم في الدلالة على الشيء من نفسه ، أو ما يماثله و يشاكله ، ويكون على صورته كدلالة الأوليات من ضروري وبديهي ومحسوس ، ودلالة الانسان الكامل ، المخلوق على صورة الحضرة ، على ما صح به الخبر المرفوع ، و والسند المتصل على وجود الصانع ، جل جلاله ، وكمال ألطافه بأوصاف الجلال ، ونعوت الكمال ، التي لا حصر لفروعها ولا حد ، ولا يأتي احصاء أو حد ، فدلالة الانسان من حيث هو مستعد للتجلي عليه بمختلف مقتضيات الأسماء الحسنى ، والصفات المثلى ، فوق دلالة باقي المخلوقات الفاقدة لتلك القابلية ، وتلك الكثرة الهائلة الاعتبارية ، ولتلك الأحدية الجمعية ، باعتبار مرتبتي الاجمال والتفصيل ، والرتق والفتق ، على مبدعها وبارئها جل علاه ، وتقدس سناه ، فضلا عن دلالة الانسان الكامل ، والنموذج الشامل ، فان الخلائق أجمعين أكتعين أبتعين عاجزون عن الاحاطة بكافة شؤونه ، وما له من المقامات ، ومنازل الاختصاص عند ربه التي استعد لها استعدادا أزليا وأبديا ، بمقتضى الفيض الأقدس ، ثم المقدس ، وان من هذا القبيل دلالة هذا المؤلف الجليل الموضوع للأجوبة عن أسئلة الفرد الجامع ، الامام المحدث الصوفي محمد بن علي الترمذي رضي الله عنه ، ورد صاحب خبيئة الكون في حافرته ، والطعن في صدر شبهاته وتنطعاته ، وبيان معنى خاتمية مولانا الشيخ الأكبر ، حجة الله والقطب الأشهر ، الامام الرباني ، أبي العباس سيدي أحمد التجاني ، والاحتجاج لصدق دعواه اياها على حقيقة مؤلفه ، العلامة المحقق ، المشارك المدقق ، الأديب البارع ، السري المفضال ، العارف بالله القاضي أبي العباس سيدي أحمد سكيرج ، وعلى ماله من الخصوصية ، والوراثة المحمدية ، والفتح الواضح ، والتحقيق البارع اللائح ، وأنه أحد أفذاذ الرجال وأفرادهم ، الذابين عن حوزة أهل الله والناصرين لهم ، حين قل الناصر في هذه الأزمنة ، وفي جل البلاد ، بل عدم بالمرة ، وكثر الجهل ، وفشا الالحاد ، والمروق من الدين ، ومقاومة كل متمسك بشيء من تعاليمه الالهية ، وآدابه . ومن المحيطين علما بأسرار أكابر الرجال ، والذائقين من مقاصدهم كل عال غال ، ومن المتوصلين بتحقيق ما هنالك عن قوة دليل

دليل وبرهان ، بل لا أبطل أن يكون عن شهود وايقان ، ومكافحة وعيان ، ومنازلة لجيوش كل منزل ومقام ، من رتب السلوك الى الملك العلام ، بل أرى أن هذا هو المتعين ، بدلالة ما أودعه في هذا التأليف النفيس ، وغيره من تآليفه النافعة ، مما لا يتأتى تحصيله بمدارسة ، ولا عن مناظرة ومنافسة ، ومزاولة للعلوم الرسمية وممارسة ، والا فليأت المناظر المجادل بأمثالها ، ويقارنها من علومه الرسمية ، بأشكالها ، هيهات هيهات ، هذا الى ما في سائر تآليفه من الانسجام التام ، وصحة المعاني ، وحلاوة وطلاوة المباني ، ومشاركة في علوم عديدة ، والتبريز في ميادينها الحديدة ، وقد قلنا : انه لا أعظم في الدلالة على الشيء من نفسه ونظيره المشتمل على مظاهر ما عليه اشتمل ، وبه في وجوده قد اكتمل . قاله خاطا بيده العبد الفقير محمد ابن أحمد الرافعي ، عفي عنه . وحرره في 19 قعدة عام 1352 هـ .

فهرست كتاب (قرة العين) في الرد على مؤلف كتاب (خبيئة الكون)
للعلامة الفقيه السيد أحمد سكيرج رحمه الله تعالى آمين .

الصفحة

الصفحة